الفصـــل الثالث

تَصوّر ابن خلدون فى تربية المَلَكَـــة اللسانيَّة

أولاً : منهج ابن خلدون .

ثانياً : مصطلحات ابن خلدون .

ثالثاً : ابن خلدون والنحاة

رابعاً : أنواع العلوم عند ابن خلدون .

خامساً : الملكة كمصطلح عام .

سادساً : الملكة فى علم النفس " نظرية الملكات ".

سابعاً : الملكة اللسانية .

ثامناً : العوامل المؤدية لنمو الملكة اللسانية .

تاسعاً : اكتساب اللغة .

عاشراً : اكتساب اللغة من منظور علم النفس الحديث ومدارسه .

الحادى عشر : الاستيعاب والتمثل جوهر الملكة اللسانية .

الثانى عشر : مداخل تدريس اللغة .

الفصل الثالث

تصور ابن خلدون فى تربية الملكـــة اللسانية

مقدمة :

يهدف هذا الفصل إلـــي تحليـل تصور ابن خلدون فى تربية الملكة اللسانية بغرض الإحاطة بجميـع جوانبها ومحاولة ربطها ببعض الاتجاهات المعاصرة أملاً فى التعرف على نقاط الالتقاء بين ابـن خلـدون فى تصوره لتربية الملكة اللسانية . والمعاصرين فيما يخدم البحث .

أولاً : منهج ابن خلدون فى المقدمة(*) :

حاول الكثيرون من علمـاء الاجتمـاع أن يستبينوا ويستوضحوا الأسس التـى اتبعهـا "***ابن خلدون***" فى المقدمة ؛ فكان دافع هؤلاء البـاحثين بالدرجـة الأولـى خدمـة علـم الاجتمـاع وطلابـه بصفة خاصـة ؛ ولهـذا نجـد معظـم شـواهدهم مُرَكَّزَة علـى مـا ورد بالمقدمـة مـن أمـور اجتماعيـة أو مجتمعية فَحَاوَلْتُ – بعد استقراء لما كتبـه بعض البـاحثين – أن أطبـق القواعـد التـى أوضحهـا علماء الاجتماع فيما يخص الملكة اللسانية فقط والذى دفع الباحث لهذا الآتى :-

١- أن مقدمة ابن خلدون تسير على خط فكرى واحد.

٢- أن ابن خلدون حين فكر فى موضوع الملكة اللسانية كان تفكيره فيها من الناحيـة الاجتماعيـة " لكون اللغة اجتماعية بالدرجة الأولـى" ***(عبد السلام المسدى ، ١٩٩٤ : ٢١٠)*** ، وكـانت الملكـة اللسانية وسيلة لاستعادة اللسان العربى الذى تشوبه اللكنة الأعجمية ، أو اللحن فى الأداء اللغوى.

٣- أن معظم من تكلموا عن الملكة اللسانية لـم يستوضحوا الأسـس التـى أقـام عليهـا ابـن خلـدون تفكيره فى الملكة اللسانية .

وفيما يلى استعراض لقواعد المنهج (**) التى سار عليها ابن خلدون:

١- الشك والتمحيص:

لقد ورث ابن خلدون ميراثاً عقلياً من الشك العقلى ، خَلَّفَـه لـه اثنـان مـن كبـار أئمـة الفكـر الإسلامى هما :" ***ابن تيمية ، وأبوحامد الغزالى*** " هذا فضلاً عما ورثـه مـن دراسته لعلـم الحديـث من طرق الجرح والإسناد ، الأمر الذى جعله يشكك فى الروايـات التـى تقـول : إن العربـى ينطـق بالجبلة والسليقة يقول ***ابن خلدون*** :" إن الملكات إذا استقرت ورسخت فى محلها ظهرت كأنها جبلة

(*) وجدت كثرة انتهاء الأسماء الأندلسية (الأعلام) بواوونون مجادلات كثيرة انقسمت فريقين هما كالآتى

(١) ترجع كلمة خلدون وهى منتشرة بكثرة فى اللغة الأسبانية الى كلمة(خالد) الفصحى إلاأن أهل الأندلس كانوا يبالغون فذهب الأسبان فى زيادة (on) واوونون للتفخيم .

(٢) وُجِدَتْ الأسماء العربية المنتهية بالواو والنون فى الأندلس مناخاً ملائماً لتلك الصيغة ، فاتسعت وانتشرت واستكثر منها الأندلسيون من باب الحنين إلى ما ضيهم ، فسموا أبناءهم بأسماء تنتهى بالواو والنون.***(صلاح جرار ، ١٩٩٥: ٦٧٢)***

(**) جميع العناوين هنا مأخوذة من (حسن السعاتى : ١٩٨١) وشرحها على الملكة اللسانية من عندى تبعاً لفهمى للملكة اللسانية .

أو طبع لذلك المحل .لذلك يظن كثير من المغفلين (*) الذين لا يعرفون شأن الملكات أن الصواب للعرب فى لغتهم إعراباً – وبلاغة أمر طبيعى . ويقول : " كانت العرب تنطق بالطبع ، وليس كذلك ،وإنما هى ***ملكة لسانية*** فى نظم الكلام . تمكنت ورسخت فظهرت فى بادىء الرأى أنها جبلة وطبع. ***(ابن خلدون ، ١٩٨٦ :جـ٤/١٤٣٥)***

وابن خلدون حين يشكك فى هذه الروايات يأتى بالأدلة مفنداً رأيه . فيذكر أن كثيرين من مفسرى القرآن والنحاة من أمثال "***السيوطى والزمخشرى وسيبويه***" لم يكونوا عرباً بالمولد والجنس، وإنما كانوا عرباً بمعايشتهم العرب ومخالتطهم البيئة العربية " فهم عجم فى النسب لأنهم أدركوا الملَّة فى عنفوانها فاكتسبوها" .***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤/ ١٤٣٥)***

٣- الواقعية المتشخصة بموادها:

يقصد بالواقعية الاجتماعية :" ملاحظة الظواهر الاجتماعية – ومنها اللغة – على أنها أشياء ، فلا وجود للظاهرة الاجتماعية إلا بوجود العنصر البشرى فى المجتمع "***(حسن الساعاتى، ١٩٨١ : ٤٥)***" وما الظاهرة الاجتماعية أو اللغوية إلا إحدى نتائج النشاط البشرى فى المجتمع . ***(فندريس ، دت : ٤٠) و(عبده الراجحى ، ١٩٩٢ : ٣٥)***

فإذا ما طبقنا هذا القاعدة التى أقام عليها ابن خلدون فكرته فى الملكة اللسانية نجد أنه تعامل مع الملكة اللسانية بصورة واقعية تجريبية ،فقدتعامل معها حين نسبها إلى اللسان فقال : "الملكة اللسانية"وسميت بذلك لأن تعريف اللغة عنده هى :" عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لسانى ناشئة عن قصد لإفادة الكلام . فلا بد وأن تكون ملكة منفردة فى العضو الفعال لها هو اللسان .... وهو لكل أمة حسب إصطلاحها". ***(ابن خلدون ، ١٩٨٦ : جـ٤ / ١٣٩٩)***

إذن ابن خلدون تحدث عن الملكة اللسانية كظاهرة اجتماعية موجودة فى كل أمة ، ولأن اللغة ظاهرة اجتماعية ، وكل ظاهرة اجتماعية لها قوانينها التى تخضع لها ؛ لهذا نجد ابن خلدون لم يجعل اللغة ملكة صناعية لها قوانين تحكمها.

أمر أخر نجد أن " ابن خلدون " ربط الملكة اللسانية بالسمع ، والسمع حاسة تتعامل مع الأشياء المادية . الأمر الذى جعله يستعرض الطرق المختلفة لاكتساب اللغة فى أمصار متعددة .

---

*- إن استخدام كلمة المغفلين فى عبارة ابن خلدون آتٍ من تأثره بدراسة الحديث . فكلمة " الغَفْلة" تعد أحد مصطلحات علم الحديث،وكلمة الغَفْلَة تعنى فى اللغة : القابلية لتصديق كل شىء دون فهم أو فطنة . وقال ***ابن عباس*** : " لا يكتب عن الشيخ المغفل " ***(شرف الراجحى ، ١٩٨٢ : ١٠٥)***

فيذهب إلى أن الأندلسيين أحسن حالاً من أهل المغرب فى طرق اكتسابهم للملكة اللسانية ؛ لتعدد الوسائل التى يستعينون بها فى تحصيل هذه الملكة.

ومن هذه القاعدة الهامة نجد "ابن خلدون " يجعل من الملكة اللسانية حقيقة ينبغى البحث عنها يقول فى هذا: " إذا كانت كل حقيقة متعلقة يصلح أن يبحث عما يعرض لها من العوارض لذاتها ، وجب أن يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم يخصه ***(ابن خلدون ١٩٦٨ ، جـ٣ / ١٢٢٩)*** من هنا أخذ ابن خلدون يَدْرُس الملكة كالدين واللغة ، والسلطة ،فالسلطة الحاكمة لها دور أساسى فى تحسين اللغة القومية ، أو انحسارها ، وكذلك الثقافة الاجتماعية السائدة "

(Mahamoud H.Dhaudi , 1994 : 56)

إن الذى وجه تفكير ابن خلدون هذه الوجهة الطبيعية البشرية : للعناصر والظواهر هو التزامه بقاعدة منهجية مبتكرة استوحاها من الفكر الإسلامى الذى تبلور فى العلوم النقلية الشرعية، فاعتمد على ما قدمه أسلافه ليلج موضوعاً جديداً يتحقق فيه أمران:

الأول :- تحرير عقله ليفكر ويبحث ويكتسب المعرفة عن طريق المدارك الحسية ضمن نطاق الفكر ، فلا يتقيد عقله إلا بالمشاهدة المحسوسة ، والحوادث المشخصة،الأمر الذى يجعله يبرهن بالأمثلة على جودة التحصيل للملكة اللسانية فى بعض الأمصار ، وإخفاق أمصار أخرى فى ذلك.

الثانى :- ابتكار أفكار جديدة ، وإضافات أصيلة يضيفها إلى المعرفة ، ولا يكون فيها مسبوقاً بأحد . مثل تعريفه للأسلوب ***(صلاح فضل ، ١٩٨٥ : ٧٢-٧٣)*** كذلك أيضاً سبقه للغويين المعاصريين فى بعض الأمور اللغوية ومنها:

١- أن العلامة الإعرابية غير ضرورية ، لوجود قرائن بدلاً منها " ***(محمد عيد ، ١٩٧٩ : ٥٥)*** ورَأْى ابن خلدون فى هذا بالتفكير اللغوى المعاصر يعتبر عين الصواب ***(محمد عيد ، ١٩٧٩ :٢٩)***،وأن ابن خلدون سبق المحدثين " فى التفريق بين اكتساب اللغة ، وتعلم اللغة." . وقد تم لابن خلدون التجديد – فيما أتى به ***الملكة اللسانية*** – عندما سار فى طريق أخر غير الذى سار فيه علماء العربية ، فقد خالفهم فيما ذهبوا إليه من أن كثرة القواعد وتلخيصها تجعل العربى يجيد لغته ، فكثرة " الملخصات مُخِلَّة بالتعليم "***(ابن خلدون ١٩٦٨ : جـ٤ / ١٣٥٢)*** لقد كان طريقه الفريد يتم عبر علم طبيعى بشرى هو علم التاريخ ." فانطلاقاً من استقراءاته اللسانية الحاضرة فى زمانه استطاع أن يرتقب مراحل الزمن صعوداً إلى الماضى ليكتشف قوانين التغير منذ مطلع النهضة العربية الإسلامية . وبذلك استطاع أن يُسْقِط النواميس المُحَرِّكة للظواهر

اللغوية ؛ ليوضح أساس الضعف اللغوى للملكة اللسانية عند معاصريه .*(عبد السلام المسدى، ١٩٩٥ : ١٩٤)* "إن أهم ما يميز كلام ابن خلدون أنه كان ينظر للأشياء باعتبار محتواها المتلبس بشبكة الحياة"،*(عبد السلام المسدى، ١٩٩٤ : ١٠٩)* فالتعليم مرتبط بالعمران ، ولما كان العمران شيئاً مادياً ، فقد ألحق ابن خلدون أمر التعليم به ، وجعله صَنْعَةً من الصنائع ، لأنه يؤدى خدمات طيبة للعمران.

وابن خلدون لم يفرد صفحات ليتحدث فيها عن التربية ، وأثرها فى المجتمع ، ولكنه تحدث عن التعليم وكيف يكون ، موضحاً بعض المميزات والعيوب التى كانت تسود الأمصار فى عصره . وهو حين يتحدث عن التعليم كأنه يتحدث عن التربية. فما التعليم إلا جزء من منظومة التربية فى المجتمع .

وابن خلدون تبعاً لهذه القاعدة (الواقعية المتشخصة بموادها)، إنما كان موضوعياً فيما أتى به من آراء غير متحيز لرأى أو متشيع لعقيدة.

٣- تحكيم أصول العادة وطبيعة العمران:

ينطلق ابن خلدون وفق هذه القاعدة من أن الانسان ابن عوائده لا ابن مزاجه وطبيعته . وقد دلت الأبحاث على أن الإنسان كائن اجتماعى ، يقول ابن خلدون : "الناس محتاجون للعبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع" *(ابن خلدون ،١٩٦٨ : جـ١ /١٩٢)*

إن اللغة هى وسيلة الإنسان فى قضاء حاجاته ، ولهذا فهو يكتسب لغته بالممارسة ؛ ومن ثم فإن الملكة تكتسب بالممارسة – أى من طبيعة العمران – فإذا ما فَسَدَ المناخ اللغوى ، فإن طبيعة الإنسان اللغوية ستفسد كذلك ، ***ولهذا تَفَطّن ابن خلدون إلى تطور اللغة*** . يقول ابن خلدون : "فسدت الملكة بمخالطتهم – أى العرب – الأعاجم وسبب فسادها ، أن الناشىء من هذا الجيل صار يسمع فى العبارة من المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التى كانت للعرب ، فاختلط الأمر عليهم ، وأخذ من هذه وهذه ، فاستحدث ملكة ، وكانت ناقصة ، وهذا راجع إلى أن السمع أبو الملكات اللسانية ،وأن النفس تجنح بما يلقى إليها ، ولهذا كان لسان الإنسان صورة للسان من ينشأ بينهم ؛ لأنه يسمع كلامهم ، وأساليب مخاطبتهم وكيفيات تعبيراتهم" *(ابن خلدون،١٩٦٨ :جـ٤/ ١٣٩٩)*

٤- قاعدة القياس بالشاهد على الغائب:

القياس فى اللغة التقدير للشىء بغيره . وهذا يتناول الشىء المُعَيّن بنظيره المُعَيّن ، والقياس بالشاهد على الغائب مبنى على قاعدة " أن حكم الشىء حكم مثله . ويفيد ذلك فى معرفة الأسباب أى البرهنة على القضية الكلية " *(حسن الساعاتى ، ١٩٨١ : ١٣٦)*

إن ***كتاب العِبَر*** لابن خلدون الذى جعل المقدمة أحد أجزائه يتضمن معنى وثيق الصلة بالقياس . ***فالعبرة*** هى الاعتبار بما مضى ، واتخاذه وسيلة لمعرفة الحاضر. وفى قياس ابن خلدون كان يربط العلة بالمعلول ؛ فلما كانت اللغة تكتسب بالممارسة ، وليس بمعرفة قواعد اللغة . فقد علل ابن خلدون أن الملكة اللسانية غير اللغة فهى علم بالكيفية لا النفس كيفية (*)

كذلك أيضاً استخدم ابن خلدون هذه القاعدة عندما أراد الحديث عن عقاب المتعلم وأثر ذلك على نفسيته ودوافعه ، ثم أثر المغالاة فى عقاب النشء وسوء الخلق يقول ابن خلدون : " وهكذا وقع لكل أمة حصلت – أى وقعت – فى قبضة القهر ونال منها العسف ." ***(ابن خلدون، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٣٦٤)*** ، وعندما تَحَدَّث ابن خلدون عن اللغة وأَصْلِهَا استخدم هذه القاعدة قائلاً: " اعلم أن النقل الذى تثبت به اللغة إنما هو نقل عن العرب ، إنهم استعملوا هذه الألفاظ . لا نَقُل أنهم وضعوها لأنه متعذر وبعيد ، ولم يعرف لأحد منهم .. وكذلك لا تثبت اللغات بقياس ما لم نعرف استعماله " ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٣٨٢)***

"الواقع أن هذه القاعدة ليست غريبة على ابن خلدون القاضى الشرعى ، بل قاضى قضاة مصر "، فالقياس أحد الوسائل الشرعية التى كانت شائعة – للآن – فتفكير ابن خلدون الدينى لم ينفصل عنه عندما كان يؤلف المقدمة ***(حسن عبد الحميد ، ١٩٨٧ :٣٨)***

والذى جعل ابن خلدون يلجأ للقياس الآتى:

أ – أنّه كان شكاكاً وهذه صفة الباحث الجاد.

ب– أنّه كان دائب البحث للوقوف على العلل المؤدية للنتائج التى يتوصل إليها ، من أجل بلورة نظرية ، أو صياغة قانون

جـ– أنّ الملكة اللسانية التى تكلم فيها متعلقة بنواح عديدة ، فهى متعلقة بالنحو وفى نفس الوقت تختلف عنه ، لهذا فهو يفرق بين العاده اللغوية المكتسبة بطريقة عفويه لدى العربى – القح – فتظهر كأنها جبلة أو طبع ، وبين التعلم المقصود بمعرفة قواعد اللغة والنحو ، وكذلك تصريحه بفقد العلامة الإعرابية والاستغناء عنها بقرائن لفظية أخرى ***(تمام حسان ، ١٩٧٣ : ١٣١)***

د–أنّ اللجوء إلى القياس جعله يقدم آراءً – جديدة لم يسبقه إليه أحد ممن سبقه – فى عملية اكتساب اللغة.

(*) سيرد ذكر هذا المصطلح مفسراً فى صفحة (٤٥ – ٤٦) من هذا البحث

هـ- أن قياس الغائب على الشاهد هو الصورة العقلية المثلى فى المرحلة الوصفية التى مر بها العلم الذى ابتكره ابن خلدون(***Fuad Baali , 1986 : 23)***

٥- السَّبْر(*) والتقسيم :

السَّبر هو تقصى الحقائق أو تقصى المسألة من كافة وجوهها ثم الوصول إلى أسبابها ، وتقسيم هذه الأسباب وتفنيدها ؛ من أجل الوصول إلى المسبب الأصلى وهذه القاعدة - السبر والتقسيم - تتطلب بعض الأمور مثل :

(أ) الإطلاع التام وتخزين المعلومات.

(ب) إعمال الفكر بصورة جيدة.

وهاتان العمليتان نجدهما متوفرتان عند ابن خلدون ؛ لأنه لولا الإطلاع العميق للعلوم العديدة المتوفرة فى عصره ما استطاع أن يخرج علينا بهذه الوفرة من العلوم والمعارف الدالة على علمه الغزير فيما احتوت عليه المقدمة.***(حسن الساعاتى، ١٩٨١ : ٩٣)، (Fuad Baali , 1986 : 27)***

"لقد تحسس ابن خلدون بحسه العلمى - وحدسه الفقهى - بعض المسائل الألسنية ، وتناولها بدقة علمية ، لاتبتعد كثيراً عن الدقة العلمية فى المسائل المنهجية الألسنية . فهو لم يكن عالماً ألسنياً بالفكر المعاصر ، وإنما أعمل فكره فى معالجة اللغة ، وقضاياها فأتى بآراء وأفكار متطورة فى مجال تحليل اللغة تقارب بعض ما جاء بأفكار الألسنية المعاصرة ." ***(ميشال زكريا ، ١٩٨٦ : ٩٨)***

(*)ورد بلسان العرب أن **مادة سَبَرَ** تعنى الآتى:

السَّبْر : التجربة :سَبَرَ الأمرَ أى جَرَّبَه ، وخَبِرَه ، والسَّبر : استخراج كنه الأمر . وفى حديث الغار : قال ***أبو بكر*** لرسول الله صلى الله عليه وسلم : **لا تدخله حتى أسبره قبلك بمعنى : اختبره وأعتبره وأنظر هل فيه أحد أو شىء يؤذى.** أما كلمة ***السِّبْر*** : بكسر السين بمعنى الهيئة والمنظر والملبس . قالت أعرابية :نقول أعجبني سِبْر فلان أي هيئته وحالته البدنية . وفى حديث ***الزبير*** أنه قيل له : مُرْبنيك حتى يتزوجوا فى الغرائب ، فقد غلب عليهم سِبْرُ ***أبى بكر*** ونحوله ؛ قال ***ابن الأعرابى*** السِّبْرُ ههنا الشبه . يقول أحد الشعراء مفتخراً بشبهه لوالده (سِبْره لوالده) :

أَنَا ابْنُ المُضْرَجِي أَبِي شُلَيل ... وَهَلْ يَخْفَىٰ عَلَىٰ النَاسُ النَّهَارُ ؟

عَلَيْنَا سِبْرِه وَلِكُل فَحْـــلٍ ... عَلَىٰ أَوْلَادِهِ مِنْـــهُ نِجَـــارُ

انظر ***(لسان العرب ، ١٩٧٩ : ١٩١٩ - ١٩٢٠)***

تعقيب :

إن القواعد التى اعتمد عليها ابن خلدون فى منهجه عند تأليفه المقدمه تعتبر قواعد جيدة؛ لأن كل قاعده مما سبق تعد بعداً من أبعاد منظومة ابن خلدون الاجتماعية مما يجعله يقف فى مصاف العلماء المفكرين ، فقاعدة "**الشك والتمحيص**" هى قاعده سبق بها ابن خلدون الكثيرين ممن ألفوا كتب البحث العلمى وقواعده فى العصر الحديث ، فصفة الباحث الجيد هو الشك فيما وصل اليه السابقون ، والشك هنا ليس **الشك المرضى** انما هو الشك من أجل الوصول لشىء جديد . إن الشك بصورة موضوعية تجعل الباحث يقف على إنجازات سابقيه وفى ضوء رؤى جديدة للعالم أو المفكر يستطيع استبيان إنجازات من سبقه فى ضوء هذه الإ نجازات ورؤيته لمعاصريه يستطيع أن يقف على بعض المآخذ لمن سبقه، وإذا ماتفحص شكوكه بصورة موضوعية استطاع أن يخرج بإنجاز عظيم لم يسبقه اليه أحد وهذا ما حدث مع ابن خلدون المفكر المسلم العربى .

والواقع أن قاعدة" **الشك والتمحيص**" كانت أداة جيدة لجامعى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . فما كان من جامع الحديث إلا أن ويتشكك فى الروايه ثم **يمحص** راويها فيما سمى بعد ذلك بعلم "**الإسناد والجرح**" الذى درسه ابن خلدون قاضى قضاة مصر .

كذلك أيضا الرائى لهذه القواعد التى ابتكرها ابن خلدون يجد أنها مرتبة ترتيبا منطقيا فالباحث الجاد يتشكك فما لديه من معلومات ، ثم يقوم بفحصها وتمحيصها معتمدا فى ذلك على ما عنده من وقائع مادية حقيقية ثم بعد ذلك يحكم مالديه من معلومات بغية الخروج بقانون أو نظرية .

ويعتقد الباحث أن ابن خلدون فى قواعده ومنهجه كان متأثرا **بعلم الحديث** خاصة وأنه تولى منصب قاضى القضاة وكانت وظيفة القاضى آنذاك بمثابة اللجنه الشرعيه للافتاء ، فالمفتى من أهم شروطه الموضوعية واعمال العقل مستعينا بما لديه من أدلة مادية فاذا ما فقد السند الشرعى – المادى – أقام دليله – الشرعى – على أساس القياس المعتمد على صحة المقدمات ذات الدليل المادى الواقعى . **وقاعدة قياس الغائب على الشاهد هو الصوره العقلانيه المثلى فى المرحلة الوصفيه التى مر بها الفكر العربى .. وقد حفظت لنا كتب الفقه الكثير من الأمثله التى مارس فيها الرسول نفسه هذا القياس (حسن عبد المجيد، ١٩٨٧ : ٢٤)**

والخطوه الأخيرة فى منهجه ابن خلدون هى **السبر والتقسيم** بغية إدراك المشكله من كافة وجوهها سعيا وراء الروابط المتعلقه فيما بينها لتقديم رؤيه أشمل وأعم حول المشكله موضوع البحث ولقد أثبت المفكرون الغربيون من سنين خلت تفرد ابن خلدون فى نظرته الاجتماعيه . والبحث الحالى يؤكد ذلك ، وبخاصة فى النواحى المتعلقه بالتربيه والتعليم ، وهذا ماسيتضح فى الفصل الثالث بمشيئة الله تعالى .

ثانياً : مصطلحات ابن خلدون : الخادمة فى فهم الملكة اللسانية :

أ- مصطلحات تفرد بها :

تفرد ***ابن خلدون*** بعدة مصطلحات تُعِينُ على فهم الملكة اللسانية بعض هذه المصطلحات ابتكرها من عنده ، والبعض الأخر استقاها من علماء المشرق العربى يقول أحد الباحثين فى ذلك: " ولا شك أن مُدَوَّنَة صاحب العِبَر تكشف عن تفرد فى مستوى المصطلحات ، وفى مستوى الصياغة الأسلوبية أيضاً ، ولكن هذا التولد ليس تولداً بالفطرة ولكنه ذو جذور لوسعينا إلى استقصائها لحددنا لها مراجعها فى ميراث الفكر العربى ، وقد وقفنا على جملة من النصوص **للجاحظ ، وابن مسكويه ، والتوحيدى وإخوان الصفاء**"... نزعم مبدئياً أنها وجهت ابن خلدون وجهة خاصة ***(عبد السلام المسدى ، ١٩٩٤ : ١٨٥ - ١٨٦)***

والواقع أن هذا التأثر المعرفى المفاهيمى عند ابن خلدون لا يقلل من شأنه فالعلم تراكمى توليدى . وسنكتفى بضرب بعض الأمثلة التى هَدَتْ ابن خلدون إلى التعليل الصائب فيما آتى به عند حديثه عن الملكة اللسانية :

١-مصطلح الملكة اللسانية

وسنفرد لهذا المصطلح بعض الصفحات فى مكان أخر من البحث بصور أكثر تفصيلاً (*).

٢- مصطلح الصناعة :

وردت هذه اللفظة فى فصل : اللغة ملكة صناعية " ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤/ ١٣٨٨)*** يقول ***التهانوى :*** الصناعة فى عرف العامة " هى مزاولة العلم الحاصل بمزاولة العمل كالخياطة والحياكة مما يتوقف عليها حصول المعرفة . أما الصناعة فهى فى عُرْف الخاصة العلم المتعلق بكيفية الفعل ، فيكون المقصود منه العلم ، سواء أحصل بمزاولة العمل أو لا كالفقه والنحو ***(محمد ابن أعلى التهانوى ،د.ت ؛ جـ٢/ ٢٤٤ نقلا عن الفارابى ، ١٩٨٦ : ١٧٠)***

وابن خلدون قد وصف الملكة اللسانية بأنها صناعة ، فالصحة اللغوية أوالقدرة اللغوية تأتى من الممارسة لامن حفظ القواعد الخاصة بالنحو ، والصناعة ممارسة ومران.

٣- مصطلح علوم اللسان العربى

ترجع أول محاولة جادة لترتيب العلوم فى نسق واحد إلى الفارابى ، فقد أطلق الفارابى على كل العلوم اللغوية اسماً شاملاً وهو علم اللسان .وقد ضم علم اللسان عند الفارابى كل علوم اللغة إلى جانب غيرها من المهارات ***(محمود فهمى حجازى ، ١٩٧٣ : ٦٨- ٧٢)***

(*) انظر ص ص (٥٨ -٧٢)

وكان ***أبو حيان التوحيدى الأندلسى*** هو أول من أطلق هذا المصطلح ***علوم اللسان*** " على العلوم العربية اللغوية ، وتبعة فى ذلك ابن خلدون إلا أن أبا حيان التوحيدى اقتصر المصطلح عنده علي النحو والصرف فقط. أما ابن خلدون فقد كان المصطلح عنده يتضمن النحو واللغة والأدب والبلاغة.

ويرى ابن خلدون أن معرفة علوم اللسان أمر ضرورى وإلزامى لأهل الشريعة ، فهما بلسان العرب ، وقد نقلها الصحابة والتابعون بلغة عربية ، وشرحت مشكلاتها بلغة العرب . وأو ضح ابن خلدون صلة علوم اللسان والملكة اللسانية.

إن الملكة اللسانية عند ابن خلدون كانت بالسليقة ، ثم صارت صناعة بعد تناسيها "فصارت علوم اللسان صناعة من الكلام فى موضوعات اللغة ، وإحكام الإعراب ، والبلاغة فى التركيب ، فوضعت الدواوين فى ذلك ، بعد أن كانت ملكات للعرب ، لا يرجع فيها إلى نقل ولا كتاب ، فتنوسى ذلك ثم صارت تتلقى من كتب أهل اللسان" (ابن خلدون ، ١٩٦٨ : ١٣٧٤)

وقد فَصَّل ابن خلدون علوم اللسان علماً علماً موضحاً علاقته بالملكة اللسانية ، مؤكداً على أن الملكة اللسانية غير صناعة العربية ، أى أن الملكة اللسانية غير قواعد النحو المعيارية.

وفيما يلى محاولة لتخليص بعض ما ضَمّنَه ابن خلدون تحت مُسَمَّى " علوم اللسان العربى "

(أ) علم النحو

هو أهم علم فى علوم اللسان فبه " يتبين أصل الإفادة أو ما يطلق عليه أصول المقاصد ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤ / ١٣٧٤)*** إن الناظر لمقدمه ابن خلدون يجده قد قدّم هذا العلم على باقى علوم اللسان العربى.***لماذا قدم ابن خلدون علم النحو على بقية علوم اللسان العربى ؟***

يجيب ابن خلدون على السؤال السابق قائلاً:كان من حق علم اللغة التقدم لولا أن أكثر الأوضاع باقية فى موضوعاتها. بخلاف الإعراب الدال على الإسناد والمسند إليه ، فقد تغير جملية ولم يبق منه شىء . لهذا كان علم النحو أهم من اللغة . إذ فى جهله الإخلال بالتفاهم جملة ، وليست كذلك اللغة ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :١٣٧٤)***

"إن علم اللغة كما فَهم ابن خلدون يعنى البحث فى الألفاظ ومعانيها ، فالألفاظ ما زالت باقية ، أما علم النحو فقد تغيرت بعض أحواله ، فقد كان لدى العرب يكتسب بالفطرة ، ثم حدث فيه تخليط وفساد ، فكان الأَوْلىٰ تقديم علم النحو على بقية علوم اللغة ، أو علوم اللسان " ***(محمد عيد ، ١٩٧٩ : ١٢١-١٢٥)***

وابن خلدون حين تَحدَّث عن النحو لم ينسَ الإعراب الذى هو لُب النحو . فقد كان علم النحو هو العلم الذى يهتم بأواخر الكلم ." فهو أثر ظاهر ، أو مقدر ، يجلبه العامل فى آخر الكلمة "

(ابن هشام ، ١٩٨٤ : ٤٥) . وابن خلدون يقول:إن اللغة تغيرت ، وخصوصاً الإعراب ، فلم يعد يُهْتَمّ بهذه الحركات التى فى أواخر الكلم ." وهذا الرأى صواب من وجهة نظر الدرس الحديث *(محمد عيد ، ١٩٧٩: ٩) (تمام حسان ، ١٩٧٣ : ١٨١)*

يقول ابن خلدون :" ولا تلتفتن فى ذلك إلى خرفشة النحاة أهل صناعة الإعراب القاصرة مداركهم عن التحقق حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد قد ذهبت وأن اللسان العربى فسد اعتباراً بما وقع فى أواخر الكلم من فساد الإعراب الذى يتدارسون قوانينه ، وهى مقاله دسها التشيع فى طباعهم وألقاها القصور فى أفئدتهم ، وإلا فنحن نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تزل فى موضوعاتها الأولى ، والتعبير عن المقاصد والتفاوت فيه تفاوت الإبانة ، موجود فى كلامهم لهذا العهد ، وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجود فى مخاطباتهم .... "*(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٣٩٢)*

"ونص ابن خلدون صريح جداً فى النظر إلى الإعراب نظره دقيقة تعطيه حقه فقط لا تزيد عن ذلك ولا تنقص . **وابن خلدون يذهب فى ذلك إلى أن اللغة تتفاوت بين أنواع ثلاثة:**

١- لغة مُفْهِمَة ٢- لغة صحيحة ٣- لغة بليغة.

١- اللغة المفهمة :

هى اللغة التى يعبر بها صاحبها عن أغراضه التى يفهمها السامع دون شرط الصحة اللغوية أو الفصاحة والبلاغة مثل عاميات اليوم ، أو كما كانت فى عهد ابن خلدون.

٢- اللغة الصحيحة :

هى اللغة التى تجرى على سنن الفصحى من إعراب وغيره ، وإن لم تتوافر لها الدرجة العليا من البلاغة فلا أخطاء في الإعراب أو الصياغة أو غير ذلك من قواعد الصرف.

٣- اللغة البليغة :

هى التى تجمع إلى الصحة اللغوية (نحوا وصرفا) الغاية فى البلاغة والروعة،أى تجمع جانبى المقال والمقام معاً ، فيكون الكلام موافقاً للحال الداعية إليها ، من حيث الأفكار أو الشك أو خلوا الذهن "..... *(محمد صلاح الدين ، ١٩٨٤ : ٣٥- ٣٧)*

ب- علم اللغة :

يقصد به ابن خلدون : استخدام الألفاظ فى معانيها الأصلية ، كما فعل **الخليل بن أحمد الفراهيدى فى كتاب العين ، والثعالبى فى كتاب " فقه اللغة. "**

وابن خلدون يساوق بين علم اللغة وفقه اللغة *(ابن خلدون ، ١٩٨٦ :جـ٤ / ١٣٧٨)* يقول فى ذلك :

" كانت الملكة للعرب بالطبع إذ كانوا يستعملون الألفاظ فى مواضعها ثم فسدت هذه الملكة " فاستعمل كثير من العرب الألفاظ فى غير موضعها ، فخيف الجهل بالقرآن والحديث ، فكان تدوين الألفاظ ، ومعانيها *(ابن خلدون ، ١٩٨٦ : جـ٤ /١٣٧٨)* إذن علم اللغة الحاجة الكبيرة إليه فى المقام الأول حاجة دينية فقط.

جـ- علم البيان

يقصد به ابن خلدون علوم البلاغة ، وخاصة علم المعانى والبيان والبديع ، فقد سماه الأقدمون علم البيان.

إن موضوع هذا العلم الأحوال والهيئات للمتخاطبين أو الفاعِلِين وما تقتضيه فى الدلالة عليها بالألفاظ من أحوال وهيئات تناسبها *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ ٤ / ١٣٨٣)*

إن أساس هذا العلم أن يكون للمتكلم مَلَكَة من جنس كلام العرب تتحقق فى الألفاظ أحوالاً وهيئات تطابق حالة المتكلمين .. فقد صارت صناعة .وحول صناعة البيان أورد ابن خلدون أمرين مهمين، كليهما يدل على نفاذ رأيه ، وهذان الأمران هما:

١- أن أهل المشرق أقدم من المغاربة فى علم البيان. لسهولة علم البيان وصعوبة البلاغة.

٢- أن علم البديع انتشر فى أهل المغرب واستأثروا به " لأنه علم سهل المأخذ ، وصعوبة البلاغة والبيان عندهم - أى عند أهل المغرب - وغموض معانيها جعلهم يتجافون عنها *(ابن خلدون ، ١٣٨٥- ١٣٨٦)*

(د) علم الأدب:

يرى ابن خلدون أن هذا العلم لا موضوع له !! " لقد فهم ابن خلدون التاريخ أنه علم من العلوم ، له صلة بالواقع والاجتماع الإنسانى بينما لم يفهم علم الأدب على هذا النحو ، اذ فهمه على أنه تعبير جميل وحسب .." إن ابن خلدون افقد الأدب أخص خصائص العلم عندما وصفه بأنه علم لا موضوع له . و المستقرىء لمقولة ابن خلدون عن علم الأدب يتضح له أن ابن خلدون يخلط فى تعريفه للأدب بين مفهومه ، والغاية من دراسته ، إذ يفهمه على أنه التأدب ... ويبدو أن الذى أوقعه فى هذا الخطأ هو اقتفاؤه أثر القدماء من أسلافنا فى تعريفهم للأدب" *(عثمان موافى ، ١٩٩٣ : ٢٨٨- ٢٨٩)*

علاقة الأدب بالملكة اللسانية

لما كانت اللغة وسيلة الأدب ، وأداته التعبيرية ، فقد اعتبر ابن خلدون إجادتها عاملاً مهماً فى صياغة الأدب وإنشائه *(عثمان موافى ،١٩٩٣ : ٢٨٩)*

" واكتساب هذه الملكة اللغوية يعين الأديب على تذوق الأدب وصياغته صياغة جيدة على هَدْى من أساليب العرب ، ومناحيها فى التعبير ،فهذه الملكة اللغوية هى أساس الخلق الأدبى إذن ، فهى التى تربى فى الأديب ذوقاً بيانياً يعينه على صياغة الأدب وإنشائه ، ويعينه على معرفة جيده من رديئه" " ولما كان لأساليب اللغة الفصيحة وتعبيراتها الجميلة مثل هذه الأهمية فى تربيـة الـذوق البيـانى ، واكتساب الملكة اللغوية وهى أساس الخلق الأدبى اعتبرها ابن خلدون والأدب سواء . أو هى الأدب فى رأيه.*(عثمان موافى ، ١٩٩٣ : ٢٩٠)*

وابن خلدون ينبه عند حديثه عن هذا العلم على أمرين مهمين هما:

(١) ضرورة المعرفة بقوانين العربية ، ومصطلاحاتها.

(٢) أن الغناء له علاقة كبيرة بهذا الفن.

إلا أن ابن خلدون قد أخطأ حين جعل علم الأدب يكتسب كالملكة اللسانية بالممارسة . وقد نسى الموهبه التى يفطر عليها الإنسان فكم من حافظ للشعر ، ولكنه غير قادر على قرضه ، وقصده.

٤- مصطلح صناعة العربية :

ورد هذا المصطلح فى الفصل (٥١) بعنوان : ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ، ومستغنية عنها فى التعليم *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤ /١٣٩٦)* وابن خلدون لا يعتبر المفكر المسلم العربى الوحيد الذى ابتكر هذا المصطلح ، وإنما سبقه إليه مفكرون عرب فى مؤلفاتهم ، وهم حين يستخدمون هذا المصطلح إنما كانوا يعنون به : علم النحو ، أو علماء النحو والمشتغلين به *(انظر على سبيل المثال : القاضى عبد الجبار ، ١٩٦٥ : ١٩٨، ٢١٢)* " لقد وصف ابن خلدون كتاب سيبويه بأنه كتاب فى علم العربيـة ... " وهو هنا يحاول أن يستأثر بالمصطلحات ليبتعد عن مصطلحات أهل المشرق ، فالشرق يستخدم مصطلح النحو ، وابن خلدون يستخدم مصطلح " صناعة العربية " *(محمود فهمى حجازى ، ١٩٧٩ : ٧٢)*

٥- مصطلح العلم بالكيفية لا النفس كيفية :

إن جوهر الملكة اللسانية يتوقف على فهم هذين المصطلحين ، وابن خلدون بهذين المصطلحين يتعرض لأمر خطير وهو علاقة الملكة بقوانين النحو . يقول ابن خلدون على صناعة العربية وقوانين النحو : " إنما هى معرفة قوانين الملكة ومقاييسها خاصة ، فهى علم بالكيفية لا النفس كيفية *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : ١٣٩٦)* يشرح ابن خلدون هذه الفكرة بالتفريق بين الملكة . أي بين التحصيل بالعلم النظرى = (علم بالكيفية) ، وبين التحصيل أو الاكتساب بالممارسة = (النفس كيفية).

ويقدم ابن خلدون تمثيلاً يوضح ما يريد . فالنجار الذى يجيد العلم كقواعد أو خطوات نظرية ، فإذا سألته عنها أجابك ، واذا طولب منه القيام به عملياً أخفق وفشل فهذا النجار يعرف العلم بالكيفية لا النفس كيفية. فهو ماهر فى وصف العمل نظرياً ، أما عملياً فهو فاشل فى تطبيق ما يحفظه نظرياً،ويؤيد ابن خلدون رأيه هذا بتمثيل أقرب إلى القضية وهى أن كثيرين ممن درسوا النحو ، وأفنوا أعمارهم فيه – نظرياً – ولم يجيدوا هذه الملكة اللسانية ، لا يستطيعون التعبير اللغوى السليم . بينما كثيرون من الشعراء والبلغاء ممن أجادوا هذه الملكة بالممارسة والمران الآتيين من فهم وحفظ النصوص الأدبية البليغية أو النصوص القرآنية ، ولم يتعمقوا فى دراسة قواعد اللغة ونحوها. كانوا أجود فى تحصيل هذه الملكة ، وأقدر على التعبير دون خطأ ؛ فكل ممارس للغة فاهم للتراكيب هو مالك للملكة اللسانية . فما الملكة اللسانية إلا قدرة لغوية تمكن صاحبها من إنتاج أو استقبال اللغة . وكل دارس للغة حافظٍ لقواعدها دون ممارسة لها ، ليس بالضرورة مالكاً للملكة اللسانية – فكم من متخصص فى اللغة ، ويخطىء فيها ، لأنه تخصص فيها دون ممارسة كافية .

هناك فرق بين ما يعتاده المتكلم من نظم اللغة التى يقيس عليها وما يفعله العلماء فى النحو من وضع القواعد والمعايير . إن الأول يحدث دون قصد أما الثانى – ما يفعله العلماء – فإن فنيه القصد فيه متعمدة وظاهرة وواضحة. ***(محمد عيد ، ١٩٧٩ : ٤٥)***

الأول يتعود الشعور حتى يصبح طبعاً أو عادة من عادات الفرد كالمشى . والأخر مقاييس محددة موضوعة للاكتساب والفهم . الأول انعكاس على ناطق اللغة ، والثانى آراء الدراسين المقننة لمن يستعمل اللغة.

والباحث يرى أن هذين المصطلحين " العلم بالكيفية لا النفس كيفية " يمثلان قطبى وجهة نظر ابن خلدون فى تربية الملكة اللسانية.

ويرى الباحث كذلك أن مصطلح العلم بالكيفية يساوق مصطلح Acqusition (الاكتساب) ، ومصطلح " النفس كيفية يساوق مصطلح Learning (التعلم) . وترى بعض نظريات اللغوية أن الاكتساب مقابل لمصطلح التعلم "لأن الاكتساب يأتى بطريقة عفوية خلال تواصل الفرد مع جماعته بطريقة لاشعورية حدسية (***Carter Roland , 1993 ,2***) ، أما مصطلح تعلم اللغة فهو يتم من خلال التعلم الرسمى لقواعد اللغة ، أو من خلال تصحيح أخطاء المتعلم ، وقدرته على الاستفادة من قواعد اللغة أو التلفظ به (***Carter Roland , 1993 : 46***)

<u>ب – مصطلحات مأخوذة من الآخرين</u>

ابن خلدون يأخذ من غيره آراء وينسبها لذاته:

وجد بعض الباحثين أن ابن خلدون يأخذ من غيره آراء وينسبها لنفسه يقول عبد السلام المسدى : إن هذه النصوص المقتبسة كانت مثل الضوابط المؤثرة فى لغة ابن خلدون ذاتها حتى أنك لو أصغيت إليها عفواً ، أو استدرجت إليها من يصغى – بالروية أو بدونها – ولم تنسبها لحملها السامع على أنها نصوص خلدونية ***(عبد السلام المسدى، ١٩٩٥ : ١٨٥)***

"فقد أخذ ابن خلدون رأى الجاحظ فى حملته على النحو ، وكذلك أخذ رأى أبن حزم الأندلسى ، وأخذ رأى ابى حيان التوحيدى فى كتابه الهوامل والشوامل ، وتناول آراء ابن رشد Averroesوتناول كثيراً من مصطلحاته " ***(عبد السلام المسدى ، ١٩٩٤ : ١٨٦)***

ولقد اثبت أحد الباحثين المعاصرين أن ابن خلدون أخذ آراء البيهقى(*) فى التاريخ ، وكذلك منهجه ***(محمد غنيمى هلال ، ١٩٧٩ : ٢٤٣-٢٤٤)***

عندما تحدث ابن خلدون عن مصطلح الصناعة ، والعلم بالكيفية لا النفس كيفية ، إنما أخذها من أقوال الفارابى . وعندما أراد الحديث عن سبب العمران البشرى والاجتماع البشرى كان متأثراً بآراء ابن سينا فى قصته ***حى ابن يقظان*** . وعندما قال أن العقل بدون الحواس لا يستطيع الوصول إلى المعرفة الكاملة كان متأثراً أيضاً بابن سينا" ***(مصطفى الشكعة ، ١٩٩٢ : ١٩٥)***

وقد وجد الباحث الحالي أن ابن خلدون أخذ من المبرد صاحب كتابى الكامل والفاضل رأيه فى أن سبب فساد اللغة مرده إلى مخالطة العرب للعجم يقول المبرد : " وكان الصدر الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعربون طبعاً حتى خالطهم العجم ففسدت ألسنتهم وتغيرت لغتهم ***(محمد بن يزيد المبرد ، ١٩٧٩ : ٤)*** نجد صدى ذلك عند ابن خلدون حين يردد قائلاً : فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز طلباً للملك ، الذى كان فى أيدى الدول والأمم ، وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التى للمستعربين من العجم ، والسمع أبو الملكات ففسدت بما ألقى إليها مما يغايرها لجنوحها إليه باعتياد السمع *(ابن خلدون، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٣٧٥)*

(*)البيهقى هو الفضل محمد بن حسين المتوفى (٤٧٠هـ، ١٠٧٧م) ، نادى بضرورة وضع قواعد عامة فى التاريخ تفرق بين الحقائق والأساطير ، وقد استفاد منه ابن خلدون فى بعض الروايات . والمشهور بين دارسى علم الاجتماع أن ابن خلدون أول من قال بذلك ، وهذا غير صحيح ، بل إن أول من دعا لهذا هو إمام المؤرخين البيهقى. انظر (غنيمى هلال ، ١٩٧٩ ؛ ٢٤٣-٢٤٤)

تعقيب

إذا كان ابن خلدون قد استقى بعض الآراء من منابع العلماء الآخرين وتأثربهم فإن هذا لا يقدح فى علم ابن خلدون وتأليفه ، ولا يمكننا بأى حال من الأحوال أن نصفه بأنه منتحل من غيره، وإنما كان ابن خلدون يبلور لنا الرؤى حول القضية التى هو بصددها ، وليس هناك شك فى أن الآراء التى تأثر بها ابن خلدون من غيره قد أنارت له الطريق ، فاستطاع بفضل اطلاعه أن يتميز ببعض المصطلحات ، فبدت وكأنها ميزه أسلوبية خلدونية يُعْرَفُ بها بين العلماء. من بين هذه المصطلحات ما يلى :

١- لغة مضر. ٢- لغة العرب لهذا العهد.

٣- لغة أهل الحضر والأمصار. ٤- أشعار العرب لعهده.

وفيما يلى شرح موجز لكل مصطلح سابق :

(١) لغة مضر *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤ / ١٣٩٠)*

وهى الفصحى التى كانت سائدة بين العرب قبل أن يختلطوا بالعجم . وهى اللغة التى نزل بها القرآن الكريم ، واكتفى النحاة بدراستها واستنباط قواعدهم منها . فهى منسوبة إلى مضر وهو الجد الأكبر للعرب.

(٢) لغة العرب لهذا العهد : *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٣٩٢)*

يقصد ابن خلدون ***اللغة الفصحى*** التى كانت سائدة فى عهده – القرن الثامن الهجرى – وهى امتداد ***للفصحى القديمة*** ، إلي أن لحقها بعض التغيير اللغوى فى بنيتها و إعرابها.

(٣) لغة أهل الحضر والأمصار *(ابن خلدون، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٣٩٤)*

ويقصد بها لغات التخاطب العامية التى تختلف من بيئه لأخرى فهى فى المشرق وأمصاره تختلف عن المغرب والأندلس كل منهم بحسب بيئاتهم . واعتقد أن ابن خلدون يقصد بهذا المصطلح ما تعارف عليه أهل اللغة المعاصرين " بمصطلح اللهجات " فقد عرفه ابن خلدون " بأنه عرف التخاطب فى الأمصار ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٣٩٤).***

٤- أشعار العرب لعهده :

وهى الأشعار التى كانت سائدة فى عصره فى بعض الأمصار غير الأندلس . ولم يلتزم الكثير منها لغة مضر . وقد سمى أهل المغرب الشعر ***بالأصمعيات*** ، وسماه أهل المشرق ***بالبدوى***، نسبة إلى البادية وسموا ما تغنى به منها ***بالحورانى*** ، نسبة إلى منازل العرب فى البادية فى أطراف الشام والعراق.

ثالثاً : ابن خلدون والنحاة :

ابن خلدون حين تحدث – بإسهاب – عن المصطلحات الأربعة التى أوردها ، لم يغفل جانباً هاماً وهو أن تغير اللغة وتطورها فى عصره لم يغير من البلاغة العربية شيئاً . وقد وضع يده على موضع التغير ، وخصه فى ***القرينة الإعرابية*** " ***العلامة الإعرابية*** " التى كان النحاة يعتمدون عليها اعتماداً كلياً ، وغضوا الطرف عن بقية القرائن الأخرى .

"واللغة حين استغنت عن هذه القرينة لم تتأثر لوجود قرائن أخرى" ***(محمود نحلة،١٩٩٢ : ٦٥)*** وما قرينة الإعراب التى اعتمد عليها النحاة إلا قرينة من عدة قرائن أخرى ***(تمام حسان ، ١٩٧٣ : ١٩٢)***

وابن خلدون فى محاولته هذه يحاول أن يطرح آراء علماء النحو الذين اهتموا بالعلامة الإعرابية ، وكانت حملته عليهم شديدة اللهجة " لأنهم متعصبون يدافعون عن أنفسهم لا عن الحقيقة والواقع ، فدراسة قوانين العربية هى شغلهم الشاغل ***(عبد البديع عبد العزيز ، ١٩٨٧ : ١٥٣)***

وتجدر الإشارة إلى أن الأندلسيين حين شنوا هجومهم على النحاة فى المشرق كانت طرائق وأساليب هجومهم مختلفة ، وهذا راجع إلى اختلاف الهدف . ***فابن حزم***

ووكذلك ***ابن مضاء القرطبى*** قد سبقا ابن خلدون فى هجومهما على نحاة المشرق . والحق أن هجوم ابن خلدون قد شابه هجوم ابن مضاء ولكنه اختلف معه فى الهدف فيما يلى:

١- هجوم ***ابن مضاء القرطبى*** كان هجوماً لغوياً أكاديمياً على النحاة فى طريقة تأليف النحو ، وبما حَمّلوا النحو من تبعات أثقلت كاهل النحو العربى ، دفعهم لذلك نظرية العامل ولم تكن إلا تزيداً لا طائل منه ***(ابن مضاء القرطبى : ١٩٩٠ : ١٧)*** لقد كان غرض ابن مضاء هو تخليص النحو من العلل والأقيسة الفلسفية التي تم علي تأليفها النحو .

٢- هجوم ابن خلدون على النحو هدفه هدف تعليمى ، لأن ابن خلدون ليس لغوياً ، وإنما مؤرخ ومصلح اجتماعى ، تحدث عن العمران البشرى وابتكر ***طريقة الملكة اللسانية*** ليوضح من خلالها كيف تكتسب اللغة داخل المجتمع ، وبالتالى يصير التفاهم بين أفراده ، ويتم تطبيع الفرد داخل مجتمعه من خلال اللغة وما تحمله من قيم وأعراف.....

٣- هجوم ابن خلدون على النحو إنما هو ثورة على طريقة التدريس التى كان بها يتم تعلم النحو، وبالتالى اللغة ..... فالعجم قد ملأوا الأجواء العربية ، مما أدى إلى تغير فى اللسان العربى ، فلزم إعادته مرة أخرى للثقافة العربية والقيم ، فكان ذلك مدخل ابن خلدون ليثور على طرق اكتساب اللغة وتعليمها فقال : إن اللغة والنحو لا يتم اكتسابها من حفظ القواعد ، وانما يتم ذلك من خلال الاطلاع الواعى ، والحفظ المُدْرِك للأسرار البلاغية التى يحتويها التركيب الأدبى ،

وبالتالى يتم تشرب ما بالنص من قيم ومعايير تعيد للنشىء بعض ما فقده من سبقهم ممن لم يحفظوا التراث العربى..... وكان فى هجومه صائباً *(عبد الله حامد سلحب ، ١٩٩٦ : ١٩١)*

٤- إن هجوم ابن خلدون غرضه تيسير طرق اكتساب اللغة ، وقواعد النحو العربى :" وهذا ينم عن عقل جبار فقد اقترح التيسير من خلال اختيار النص الجيد الذى من خلال تحليله يتوصل المتعلمون إلى فهم اللغة حين تسمع ، وحين تقرأ ، وإفهامها للآخرين حديثاً وكتابة *(أحمد حلى ، ١٩٨٣ : ٣٨١)*

<u>رابعاً : أنواع العلوم عند ابن خلدون:</u>

<u>١- قَسّم ابن خلدون العلوم بصفة عامة إلى قسمين:</u>

١- علوم آلية أو مساعدة كعلم الحساب ، وعلوم اللغة فهى علوم مساعدة لغيرها.

٢- علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من علوم التفسير والحديث والفقه ،وعلم الكلام.

وله فى كل علم مما سبق رأى نوجزه فيما يلى:

أ- علوم المقاصد:

وهى العلوم الشرعية ولا يجد ابن خلدون حرجاً فى التوسع فيها ، واكتساب الأدلة ؛ لأن ذلك يزيد فى طالبها تمكناً ، وإيضاحاً لمعاينها المقصودة.

ب- العلوم الآلية:

وهى العلوم التى لا ينبغى التوسع فيها ، كعلم النحو ؛ لأنها غير مقصودة بذاتها ، بل هى وسيلة تعين على فهم العلوم الأخرى والتوسع فيها يعتبر لغواً لا طائل تحته مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها . إن العمل فى هذه العلوم مضيعة للعمر.

"وهذا ما فعله الأقدمون فقد أخرجوها من كونها علوماً آلية وصيرو ها من المقاصد ...لهذا لا ينبغى على المتعلمين المبتدئين ألا يسبحوا ولا يستبحروا فى شأنها ، ويُنَبَّهُونَ على الغرض منها " *(ابن خلدون ،١٩٦٨ : جـ٤ / ١٣٥٩)* وابن خلدون مما سبق لم يأت بجديد فقد سبقه إليه علماء أخرون مثل ***الجاحظ ، وابن حزم الأندلسى.***

٣- كيف وضع النحو أو علم صناعة الإعراب ؟

يقول ابن خلدون : ولما جاء الإسلام وفارقوا - أى المسلمين - الحجاز لطلب المُلك الذى فى أيدى الأمم والدول ، وخالطوا العجم ، تغيرت ألسنتهم ، فتغيرت الملكة بما ألقى إليها السمع من مخلفات للمستعربين ،والسمع أبو اللملكات اللسانية، وقد فسدت بما ألقى إليها مما يغايرها لجنوحها إليه ، باعتياد السمع لقد خشى أهل الحلوم أن تفسد تلك الملكة رأساً ، ويطول العهد فينغلق القرآن الكريم والحديث على المفهوم ، فاستنبطوا من مجارى كلامهم قوانيناً لتلك الملكة المطردة

شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام . ويلحقون الأشباه مثل أن الفاعل مرفوع ، والمفعول بـه منصـوب ،والمبتدأ مرفـوع .. ثم رأوا تغير الدلالـة بتغير حركـات هذه الكلمـات ، فاصطلحوا على تسميته إعراباً ، وتسمية الموجب لذلك عاملاً . وصارت كلها مصطلحـات خاصـة بهم . فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة مخصوصة ، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو . وأول من كتب فيها ***أبو الأسود الدؤلى*** من بنى كِنانة ... وأخذها ***سيبويه*** وكتب فيها كتاباً صار إماماً لكل ما كتب فيها من بعده . ثم طال الكلام فى هذه الصناعـة ، وحـدث خـلاف بين البصـرة والكوفـة ، وكثرت الأدلة واللجاج بينهم وتبادلت طرق التعليم ، وكثر الاختلاف فى إعراب آى القرآن الكريم .... وطال ذلك على المتعلمين ، فكثرت المختصرات ، مثل كتاب التسهيل لابن مالك .... " وهكذا أصبحت صناعة العربية كأنها جملـة مـن قوانيـن المنطـق العقليـة ، وبعـدت عـن منـاحى اللسـان ، وملكته ، وما ذلك إلا لعدول النحاة عن البحث فى شواهد اللسـان ، وملكتـه ، ومـا ذلـك إلا لعـدول النحاة عن البحث فى شواهد اللسـان وتراكيبـه ، وتمييـز أسـاليبه ، وغفلتهـم عـن المـران فـى ذلـك للمتعلم فهو أحسن ما تفيده الملكـة فـى اللسـان ؛ وتلـك القوانيـن إنمـا هـى وسـائل للتعلـم ، ولكنهـم أجروها على غير ما قُصِدَ بها ، وأصاروها علماً بحتاً عن ثمرتها ." ***(ابن خلدون ،١٩٦٨ : جـ٤ ١٣٩٧-١٣٩٨)***

تعقيب :-

مما سبق يتضح الآتى :

١- أن ابـن خلـدون يجعـل أحـد أسـباب تـأليف النحـو تغير الألسـنة ، ودخـول العجـم فـى الأمـم الإسلامية، أو العكس .

٢- يقرر ابن خلدون أن النحو صار صناعة أبعدته عن الغرض الأساسى من تأليفه .

٣- إن النحو لا ينبغى الإبحار فيه للمبتدئين وأنه من العلوم الآلية ، فهو وسيلة وليس غاية

٣- وظيفة النحو عند ابن خلدون

لا يظن ظان أن هجوم ابن خلـدون علـى النحـو يقلـل مـن أهميتـه ، فهـو لا يرفـض النحـو جملة، ولكنة يرفض الطرق المتبعة فى تدريس النحو العربى . فالنحو عند ابـن خلـدون لـه وظيفـة هامه " إذ به تتبين مقاصد الدلالة ، ويعرف الفاعل من المفعول ، فلولاه لجهل أصل الإفادة " ***(ابـن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ ٤ / ١٣٧٩)***

إن وظيفة النحو عند ابـن خلـدون تكـاد تتفـق مـع علمـاء العربيـة خصوصـاً "***عبـد القـاهر الجرجانـى***" الذى كان كلامه عن النحو بمثابة رد اعتبار للغة ، فقد أحلها محلها اللائـق ، فـالنحو عنده ليس العلم الذى يبحث فى ضبط أواخر الكلم ، ولا جملـة القواعـد الجافـة التـى جاءبهـا النحـاة

(زكى العشماوى : ١٩٩٤ ، ٢٨٣) يقول عبد القاهر الجرجانى :" إن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذى يفتحها ، وإن الأغراض كامنة حتى يكون هو المستخرج لها ، وأنه هو المعيار الذى لا يتبين نقصان الكلام أو رجحانه حتى يعرض عليه ويرجع إليه. *(عبد القاهر الجرجانى ، ١٩٨٥ : ٩٩)*

من هنا يتبين موقف ابن خلدون من النحو ، فهو لا يرفضه ، ومن ثم يقرر مواصفات كتاب النحو الجيد الذي يخدم الملكة اللسانية وعندما تحدث ابن خلدون عن الكتاب النحوى الجيد ، قرر أنه كتاب سيبويه.

٤- مواصفات كتاب النحو الجيد من وجهة نظر ابن خلدون:

أخذ ابن خلدون يوضح أن كتاب النحو الجيد ينبغى أن يسير على منوال تأليف كتاب سيبويه المسمى " ***الكتاب*** " فابن خلدون يرى أن ***كتاب سيبويه*** " لم يقتصر على قوانين الإعراب فقط ، بل ملأ كتابه من أمثال العرب ، وشواهد أشعارهم وعباراتهم ، فكان جزءاً صالحاً من تعليم الملكة فنجد العاكف عليه والمحصل له حصل على حظ من كلام العرب واندرج فى محفوظه ، فى أماكنه ومفاصل حاجاته . وتنبه به لشأن الملكة فاستوفى فى تعليمها . فكان أبلغ فى الإفادة ومن هؤلاء المخالطين لكتاب سيبويه من يغفل عن التفطن لهذا فيحصل على علم اللسان صناعة ،ولا يحصل عليها ملكة . وأما المخالطون لكتب المتأخرين العارية من ذلك ، إلا من القوانين النحوية المجردة عن أشعار العرب وكلامهم فقلما يشعرون لذلك بأمر هذه الملكة أو ينتبهون. لشأنها . فنجدهم يحسبون أنهم قدحصلوا على رتبة فى لسان العرب وهم أبعد عن ذلك *(ابن خلدون، ١٩٦٨ : جـ ٤ / ١٣٩٨)*

ثم يضرب ابن خلدون مثالاً على ما سبق قائلاً :" وأهل صناعة العربية بالأندلس ومعلموها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة من سواهم ، لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه فى كثير من التراكيب فى مجالس تعليمهم فيسبق إلى المبتدىء كثيرمن الملكة أثناء التعليم فتنقطع النَّفْسُ لها ، وتستعد إلى تحصيلها وقبولها ." *(ابن خلدون ،، ١٩٦٨ : جـ ٤ / ١٣٩٨)*

٥- أسباب تفضيل ابن خلدون لكتاب سيبويه فى النحو :

لم يتعرض أحد ممن تحدثوا عن الملكة اللسانية عند ابن خلدون - حسب علم الباحث - عن سبب تقريظه لكتاب سيبويه . **ويطرح البحث سؤالاً مؤداه : لماذا كتاب سيبويه دون غيره من كتب النحو التى كانت متداوله فى عصره ؟**

ويعتقد الباحث أن أسباب تقريظ ابن خلدون لكتاب سيبويه تعود للآتى:

أ- اشتمل كتاب سيبويه على (١٠٥٠) بيتاً من الشعر ***(شوقى ضيف ،١٩٩٢ :٥٩)*** وهذا ما كان يطالب به ابن خلدون : من ضرورة احتواء كتب النحو على الشواهد العربية البليغة . " ويكفى الدلالة على دورة فى تنمية البحث الفنى فى لغة الأدب ، رجوع عبد القاهر الجرجانى إلى كثير من الآراء الواردة فيه لسيبويه ***(عبد الحكيم راضى، ١٩٨٦ : ٧٩)***

ب – أن نحاة الأندلس والمغاربة قد درسوا النحو من كتاب سيبويه فقط لأنهم أخذوا النحو من تلاميذ سيبويه المنتشرين فى بقاع الأرض يقول شوقى ضيف: " والمدرسة الأندلسية اشتقت نحوها من المشرق العربى وخصوصاً مصر ، ونحاة مصر كانوا يقدسون كتاب سيبويه .

جـ- أن كتاب سيبويه ، قد درسه شيوخ ابن خلدون ، فتأثر به من خلالهم .

د- ابن خلدون كان يفضل – كذلك – كتاب " ***مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب " لابن هشام*** ، وإذا تفحصنا أصوله ، نجد أن ابن هشام ينحاز لرأى سيبويه دائماً ***(شوقى ضيف ،١٩٩٤ ص ٢١٠)***

هـ- ابن خلدون أخذ العديد من آراء أبو حيان التوحيدى ، ومصطلحاته النحوية وكان أبو حيان التوحيدى الأندلسى يتعبد لآراء سيبويه ***(شوقى ضيف ،١٩٩٠ : ص ٢٩٣)، (عبد العال سالم مكرم ، ١٩٨٠ : ٣٠٦)***

و- ابن خلدون يشيد بكتاب المبرد المسمى " الكامل " والمبرد يعد من أئمة النحو فى البصرة وزعيمها سيبويه ***(أبو الحسن عبد الله ، ١٩٧٩ : ٢٦٠)***

<u>تعقيب :-</u>

ابن خلدون إذن – لما سبق-كان دائم التقريظ والمدح لكتاب سيبويه ولكن المتصفح – بعد ذلك – للجزء الرابع من المقدمة يجد ابن خلدون يذكر بعض النحاة من أمثال : ***الزجاجى ، أبو على القالى ، أبوعلى الفارسى*** وبعض أئمة النحو واللغة من أمثال ***المبرد، وأبو حيان التوحيدى*** وهؤلاء العلماء ينتمون إلى مدارس نحوية مختلفة ، فالزجاج من المدرسة البصرية ، والمبرد من المدرسة البصرية ، وأبو على الفارسى من المدرسة البغدادية وكذلك الزمخشرى ، أبو حيان التوحيدى من المدرسة الأندلسية

-فهل اطلع ابن خلدون على مؤلفات تلك الزمرة من العلماء ؟

لم يجد الباحث مرجعاً يفيده بإجابة قاطعة ، فحاول الإجابة على ذلك ، فرجع إلى كتاب المدراس النحوية لشوقى ضيف ، وكذلك كتاب " الحركة اللغوية فى الأندلس ***"لألبير حبيب ، ١٩٦٧)*** ،وخرج بما يلى مجيباً على السؤال السابق .

(أ) اختلطت المدارس النحوية فى الأندلس فى بداية الفتح العربى للأندلس ، وذلك نتيجه لكثرة الراحلين من المشرق العربى من النحاة إلى الأندلس ، والعكس كذلك.

(ب) كثرة المؤلفات النحوية التى دخلت الأندلس معظمها كانت تميل إلى المدرسة البصرية . وإمام المدرسة البصرية سيبويه الذى قرظ ابن خلدون كتابه.

(جـ) يرجح الباحث أن كثرة المدارس النحوية والمؤلفات النحوية التى كانت تناقش فى الأندلس سبباً فى تنفير الناس من النحو ؛ لكثرة المختصرات التى كانﷺبها كل فريق نحوى ليثبت صحة رأيه".

(د) أن معظم من ذكرهم ابن خلدون على اختلاف مذاهبهم النحوية إنما كانوا دائماً يعودون إلى كتاب سيبويه البصرى ***(شوقى ضيف ، ٢٩٠-٢٩١)*** ، فلا جرم فى أن يمدح ابن خلدون ذلك الكتاب النحوى الذى كان المصدر النحوى الأول فى الأندلس ، ولهذا لم يرَ ابن خلدون غيره ، إذ حجب كتاب سيبويه بقيه كتب النحو الأخرى عن الشهرة ؛ فبدا كالشمس مشرقه يستضىء به كل طالب علم للعربية وأفلت نجوم النحو الأخرى ، بسبب ضياء كتاب سيبويه.

خامساً : الملكة كمصطلح عام

أ- فى المعاجم العربية

كثيراً ما نرى كُتَّاباً ، ومتحدثين يذكرون فى ثنايا حديثهم كلمة (ملكة) ودلالتها عند كثيرين منهم تعنى القدرة والسيطرة . فهل هى كذلك ؟ بتصفح المعاجم العربية كانت دلاله كلمة ملكة تعنى مايلى :-

١- وردت فى الحديث الشريف " لا يدخل الجنة سيىء الملكة " بمعنى من يسيىء معاملة مماليكه وعبيده ***(نلاحظ معنى السيطره والملكية)(ابن منظور ، ١٩٧٣ : ٤٢٦٧)***

٢- يقال فلان حسن الملكة ، إذا كان حسن الصنع إلى مماليكه . والامتلاك قد يكون فى الأعيان والمعانى ***(مجمع اللغة العربية،١٩٧٩ : جـ٢ /٤٠٦)***

٣- كلمة ملكة تعنى احتواء الشىء مع السيطرة عليه ***(قاموس المنجد ، ١٩٥٦ : ٨٣٥)***

٤- وهى تعنى القدرة العقلية الفطرية أو المكتسبة ***(محمد فريد ، ١٩٧١ :١٣٨٥)***

ب- المراجع الأجنبية:

وبالرجوع إلى تاريخ المصطلح لكلمة الملكة" Faculty " رجع الباحث إلى قاموس أكسفورد ، فوجد الآتى:(J.A .Simpson & E.S weiner, 1992:,657-658)

١- أصل كلمة الملكة " Faculty " راجع إلى كلمة Facultatem وتعنى القدرة أو الطاقة أو القوة المناسبة لعمل الشىء .

٢- استخدم المصطلح ليشير إلى الاستعداد الفطرى المقابل للاستعداد المكتسب . وقد استخدمه أرسطو ليعبر عن الفعل كنوع من التعلم .

٣- فى عام (١٦٢٥) استخدم - على سبيل المثال - المصطلح ليعبر عن استخدام التعبير الجيد فى الكتابة .

٤- فى عام (١٦٤٠) دخل المصطلح اللغة الانجليزية ليدل على مفهوم الطلاقه اللفظية ، ثم تطورت دلالة المصطلح .

٥- ولأول مرة يستخدمها عالم النفس ***جال " Gall عام (١٨٠٩)*** . وكان يقصد بها " القدرة العقلية الفطرية الناجمة عن ضخامة حجم الجمجمة لدى البشر ، وكان مفهوم هذا المصطلح نتيجة ***أبحاث جال Gall*** فى علم الفيرنولوجى .

٦- فى عام (١٩١٢) أطلقت الكلمة " Faculty " على الفرع التعليمى - المعهد -المتفرع عن الجامعة ، والذى يعمل فيه كل من حصل على درجة الدكتوراة ، وأول من أطلق هذا المصطلح هو عالم النفس الاجتماعى " وليم ماكدوجل "

تعقيب :-

إذن كلمة الملكة فى تواترها الد لالى تعبر عن-:

١- القدرة والسيطرة.

٢- القدرة العقلية الناتجة عن كبر حجم الجمجمة

٣- الطاقة العقلية.

ولا يخفى على أحد أن هناك نظرية بلغت شأوً عظيماً ثم أفل نجمها ، وهى نظرية الملكات . فهل نظرية الملكات تختلف عن تصور الملكة عند ابن خلدون . أم تتشابه معها ؟ ومن ثم وجب التعرض لنظرية الملكات فى علم النفس .

سادساً : الملكة فى علم النفس " نظرية الملكات "

١- "علم الفيرنولوجى: "

"ترجع فكرة الملكات " Faculties " إلى عالم جرمانى يدعى " فرانس يوسف كول " حيث اشتق المصطلح من كلمتين هما :

" Pherno "بمعنى "عقل " وكلمة "Logy " بمعنى الخطاب أو علم فصارت كلمة"Phernology " بمعنى خطاب العقل ، أو قوى العقل .

واعتقد كول ***Cool*** أن كبر حجم الجمجمة " Cronil "يؤدى بصاحبه إلى العبقرية ، فقام بملاحظة العباقرة،وقياس عرض الجمجمة وقطرها، ثم تلى كول عالم أخر هو سبرزهيمSpuierzhim " ***("إبراهيم يوسف ،١٨٩٨ : ٨٠١٢)***

(*) يعد محمد سعيد مظهر أول طالب مصرى يبعث للخارج للتخصص فى علم النفس عام ١٩٢٥ لجامعه برمنجهام بانجلترا ، وكانت أطروحته لنيل درجة الماجيستير (علم نفس وتربية عام ١٩٢٨) وكان موضوعها " مذهب سيكولوجية الملكات" وقد تضمنت أراء الفلاسفة اليونان والعرب وعلماء النفس المحدثين فى الملكات العقلية (يوسف مراد ، ١٩٧٥ : ٣٥)

وقد حاول الباحث مراسلة المكتبة المركزية بجامعة برمنجهام بأنجلترا للحصول على ملخص من هذه الرساله الا أن النجاح لم يكن حليفا له .

"لقد كانت نظرية الملكات أو قوى العقل نظرية مهمة لعدة قرون ، ليس فقط بالنسبة للرجل العادى الذى يرغب فى تفسير سلوكه، وسلوك غيره من الناس ، بل أيضاً بالنسبة للفيلسوف ، والمربى ولعالم النفس كذلك.

ويتلخص مضمون نظرية الملكات فيما يأتى :

"أن العقل مركب من عدة ملكات كالتخيل والإدراك والانتباه ، والتذكر ، وأن كل ملكة مستقلة عن الملكات الأخرى إلى حد كبير " وقد تتصف كل ملكة مما سبق بأنها قوية أو ضعيفة . فمثلاً ***ملكة التذكر*** ملكة تتصف بتذكر الأسماء ، أو الأفعال أو العناوين على اختلاف أنواعها .(***حلمى المليجى ، ١٩٩٤ : ٢٠)***

٢- تطور نظرية الملكات :

تطورت نظرية الملكات على يد عالم النفس جال Gall الذى افترض أن كل ملكة يدل عليها نتوء معين فى الجمجمة . وقد عرف حوالى (٣٧) ملكة ***(حلمى المليجى ،١٩٩٤ :٢٠)*** . ويرى جال أن بروز حجم الجمجمة إنما يعنى نمو جزء معين من المخ تحت هذا البروز ، ولهذا فقد قام بملاحظة المتعبدين فى الكنائس ، وانتهى إلى أن هناك ملكة التصوف ***(سعد جلال،١٩٦٦ : ٥)*** ، وظن أن هذا البروز يميزهم عن غيرهم من البشر.

ثم قام بملاحظة الأمهات والقرود - اعتقاداً منه - بوجود تشابه كبير فى حبهم لأطفالهم ، فوجد أنهما متشابهان فى نتوء معين !! فأطلق عليه ملكة الأمومة ***(سعد جلال ، ١٩٦٦: ٥)***

"وهكذا انتهى الحال إلى تقسيم المخ إلى أقسام كل منها يختص بملكة من الملكات ***(حلمى المليجى ، ١٩٩٤ : ٢٣)***

٣- سيكلوجية الملكات وعملية التعلم والتعليم:

"تطرقت نظرية الملكات إلى العملية-التعليمية ، والممارسات التربوية فكانت المواد تُدَرَّسُ لا رغبة فى المعرفة ، وإنما لتدريب العقل وملكاته.لقد شبهت سيكولوجية الملكات بالوقود اللازم للعقل ، وشبهها أخرون . بأنها غذاء العقل النامى . فطرق التدريس تستخدم لأنها تنمى ملكة كذا وكذا . **فملكة الملاحظة** تنمى من خلال دراسة الطبيعة ، **وملكة الانتباه** تنمى من خلال دراسة الشعر ... ***(حلمى المليجى ، ١٩٩٤ : ٢٦)*** ، وقد أثرت هذه النظرية فى تعلم القراءة فى بداية القرن حيث بدأت بالطريقة التركيبية التى تنطلق من أن معرفة الحروف يؤدى إلى معرفة الكلمات ***(محمود السيد ، د ت : ٦٩)***

٤- وظيفة المُرَبِّى فى ظل نظرية الملكات:

إن وظيفة المُرَبِّى فى ظل سيكلوجية الملكات هى البحث عن الطريقة التى تقوى بها الملكة، فى أقصر وقت بأقل جهد . وهذا ما عُبِّرَ عنه فى ظل نظرية " **التدريب الشكلى** ". ومن الفلاسفة الذين استخدموا هذه النظرية (جون لوك) (وهِرْبَات) الألمانى . ولقد سيطرت هذه النظرية على واضعى المناهج وفلاسفة التربية ، فاعتنت بالنشاط المصاحب للعملية التعلمية لتقوية الملكة ، ولا يعتد بالمحتوى إلا من أجل تربية الملكة العقلية ، لهذا حشرت المواد الدراسية بالمعلومات الكثيرة . التى لا تَمِتُّ بِصِلَةٍ للطلاب ، ولا لحاجاتهم ، ولا لاستعداداتهم وميولهم ... المهم هو تربية الملكة المرادة ***(حلمى المليجى ، ١٩٩٤ : ٢٤)***

٥- نظرية الملكات أمام البحث العلمى :

أ- لقد اثبت البحث العلمى ما يناقض الفروض التى قامت عليها نظرية الملكات ، فقد أثبت كل من سو تكليف وكانهام Sutcliffe and canham خطأ هذه النظرية تجريبياً ***(محمد سيف الدين فهمى، ١٩٨٢ ، ٩١)***

ب- أثبت علم النفس التجريبى خطأ هذه النظرية ***(سعد جلال ،١٩٦٦: ٦)***

جـ- وهكذا فإن الإبهام والغموض الذى لازم نظرية الملكات ونظرية التدريب الشكلى ، قامت كل منهما على تصورات ، وتأملات لم تخضع للبرهان العلمى:

٦- الانتقادات التى وجهت لسيكولوجية الملكات :

١- إن جال " Gall " لم يقدم برهاناً على تلك الملكات . فهل هى ذات بناء متناسق ؛ أم كل منها ذات تكوين وبناء مستقل.

٢- إن جال لم يجب على الأسئلة التالية :

(أ) هل الإحساس بالحجم يتميز عن الإحساس بالشكل ؟

(ب) ألا يعتمد كلاهما على الاستعداد الجوهرى أكثر ؟

(جـ) هل الشخص الذى يجيد القراءة والهجاء فى لغة ما يكون مجيداً لها فى بقية اللغات ؟

(د) إن تقسيم المخ بهذا الشكل لا يتفق مع أبسط المبادىء العلمية فى تشريح المخ ، وعلم وظائف الأعضاء وعلم النفس.

٣- إن طرق التدريس تبعاً لهذه النظرية هى تدريب الملكات ؛لهذا فإن الأهداف تحصر فى نطاق ضيق ***(عبد الستار إبراهيم ، ١٩٨٧ : ٢٦) (أنور أكرم طشكندى وآخرون ، ١٩٨٦ : ٩) و(عبد المنعم حفنى، ١٩٨٧ : ٢٩٨-٢٩٩) و(يحى هندام و جابر عبد الحميد ، ١٩٨١ : ٢٩)***

٤- إن تنظيم المنهج وعناصره من تتابع ، وتكامل واستمرارية . لا أهمية له هنا حيث ينظم المحتوى تبعاً للتنظيم المنطقى للمادة ، ولا اهتمام بالنواحى السيكولوجية للمتعلم ***(جابر عبد الحميد، يحى هندام ،١٩٨١ : ٢٩)***

سابعاً : الملكة اللسانية :

(١) معانيها المختلفة:

وردت كلمة الملكة مرتبطة بكلمة لسانية خاصة فى الجزء الثالث والرابع ، فى المقدمة، وكانت ترد فى الجزء الأول بمعنى القدرة ولكنها مجردة من إضافة كلمة لسانية حوالي (١٢٥) مرة .

ولقد ارتبط مفهوم الملكة اللسانية بفكر "ابن خلدون التربوى " ومناقشة هذا المفهوم يساعدنا كثيراً على فهم آرائه التربوية وقد وردت لفظة ملكة بعدة معان . وقد فهمها المحدثون بعدة دلالات مختلفة نستعرضها فيما يلى :

(١) يقول عبد الله النعيمى :

(أ) الملكة صفة راسخة فى النفس تحصل من استعمال الفعل وتكراره مرة بعد مرة حتى ترسخ صورته ، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة.

(ب) الملكة بمعنى المهارة والحذق فى قول ابن خلدون :

"وعلى قدر جودة المعلم يكون الحذق للمتعلم فى الصناعة ، وحصول الملكة، والحذق فى العلوم"

(جـ) وتفيد معنى الابتكار والمهارة ، والتمكن والاستيعاب ؛ والإلمام بالمعلومات وهذا ما يبدو من كلام ابن خلدون " ذلك الحذق فى العلم والتفنن فيه ، والاستيلاء عليه إنما يكون بحصول هذه الملكة مالم يكن الحذق ذلك المتناول حاصلاً . ***(عبد الله النعيمى ، ١٩٧٣ : ٧-٢٢)***

٢- يقول محمد عيد :

الملكة اللسانية اصطلاح لابن خلدون يقصد به القدرة على التحكم فى اللغة ، والتصرف فيها . وهذا يتفق مع تفاسير المعاجم اللغوية لمعنى الملكة ، فهى تعنى احتواء الشىء مع السيطرة عليه ***(محمد عيد ، ١٩٧٩ :هـ)***

٣- يقول ميشال زكريا فى تعريفه للملكة اللسانية :

"الملكة اللسانية هى المقدرة على استعمال اللغة الاستعمال الصحيح فى شتى ظروف التكلم والكتابة ، وليست - على كل حال-الإلمام المباشر أو الدقيق بقوانين الإعراب ، فالإنسان الذى اكتسب الملكة ، وأتقن التعبير فى لغته ليس بالضرورة عالماً بأساليب الإعراب وبصناعة العربية.

ثم يوضح ميشال زكريا قائلاً : الملكة هى إذن الإلمام بقوانين الإعراب . وهى صفة راسخة فى النفس ويمكن تقسيمها إلى الآتى مدللاً بأقوال ابن خلدون وأسلوبه:

(أ) الملكة المستحكمة :

"واعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب ، ولذلك جعلوه ديوان علومهم، وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم ، وأصلاً يرجعون إليه فى كثير من علومهم وحكمهم . وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن ملكتهم كلها .*(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٤١٠)*

(ب) الملكة الجيدة

..."وقد قدمنا أنه لابد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربى ، وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته فى جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤/١٣٩٦)*

(جـ) الملكة الراسخة:

"إذا كانت ملكته فى تلك الدلالات راسخة ، بحيث يتبادر إلى ذهنه المعانى من تلك الألفاظ عند استعمالها شأن الجبلى ، زال ذلك الحجاب بالجملة بين المعانى والفهم" *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤ / ١٣٧١)*

(د) الملكة تامة:

"وصاحب الملكة فى العبارة والخط مستغنٍ عن ذلك بتمام ملكته ، وأنه فهم الأقوال من الخط ، والمعانى من الأقوال كالجبلة الراسخة ، وارتفعت الحجب بينه وبين المعانى" *(ابن خلدون، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٣٨٨-١٣٨٩)*

(هـ) الملكة المستقرة:

"اعلم أن صناعة الكلام نظماً أو نثراً إنما هى فى الألفاظ لا فى المعانى ، وإنما المعانى تبع لها ، وهى الأصل . فالصانع الذى يحاول ملكة فى النظم والنثر ، إنما هو يحاول فى الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ، ليكثر استعماله وجريه على لسانه ، حتى تستقر له الملكة فى لسان مضر . *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : ١٤٣٢)(ميشال زكريا ، ١٩٨٦ : ٢٥-٢٨)*

٤- يقول مصطفى فهمى: :

"الملكة اللغوية عبارة عن التكوين الجسدى المتمثل فى وجود سلامة جهاز النطق وجهاز السمع ... والإفادة من المعلومات المسموعة ، وتذكرها وتخزينها .. ويشمل القدرة على محاكاة الآخرين فى نطق وترديد النماذج الكلامية المسموعة . *(مصطفى فهمى ، ١٩٧٥ : ٢٨)*

تعقيب :-

هذا هو فهم المحدثين لمفهوم الملكة اللسانية عند ابن خلدون ، أو الملكة اللغوية .والباحث يجد أن دلالة هذه المفاهيم قد اختلفت من باحث لأخر ، ويُرْجِعُ هذا الاختلاف إلى :

(أ) اختلاف هدف كل منهم :

" ***فعبد الله النعيمى*** " دَرَسَ الملكة ، كمصطلح ورد فى معظم أجزاء المقدمة ، ولم يكن اهتمامه – الأساسى – منصباً على الملكة فى الناحية اللسانية أو اللغوية ، أما "***محمد عيد***" فكان بحثه الأصلى عن الملكة اللسانية ، أو الملكة اللغوية فى ***مقدمة ابن خلدون*** مما جعله يقترب من المفهوم الصحيح للملكة اللسانية . أما "***ميشال زكريا***" : فقد تناول مفهوم الملكة اللسانية مثلما تناولها "***محمد عيد***". وكان تناوله لها بصورة أعمق ؛ لأنه حاول أن يقارب بين وجهة نظر كل من ابن خلدون وتشومسكى Chomsky .

ولهذا حاول أن يصنفها حسبما وردت بالمقدمة . إن ***ميشال زكريا*** فى نهاية تقديمة لدلالات الملكة أجمل دلالتها قائلاً : الملكة إذن صفة فى النفس ، ينبغى أن تكون مستحكمة وجيده وراسخه وتامه ، لكى يتاح للإنسان القيام بالأفعال العائده إليها واتقانها .***(ميشال زكريا ، ١٩٨٦ : ٢٨)*** أما تعريف " ***مصطفى فهمى*** " فهو :

لم يكن يقصد تعريف الملكة اللسانية كما وردت عند ابن خلدون ، وإنما كان هدفه توضيح الجانب السيكولوجى لمفهوم الملكة اللغوية . وفى رأى الباحث أن هذه التعريف يوضح الجانب الفسيولوجى لعلمية الكلام .

إن تعريف ***ميشال زكريا*** السابق فى (أ-هـ) ما هو إلا توصيف لما أراده ابن خلدون . فحفظ كلام العرب يعطى للمتعلم قدرة لغوية جيدة ، ولكنها غير راسخة ، يتم رسوخها لدى المتعلم عندما يستوعبها – فهما وحفظا- استيعاباً تاماً ، هنا تكون الملكة قد تَمّت لاستطاعة المتعلم إجراء التواصل اللغوى ، شفاهة وكتابة ، فإذا ما تم التواصل والتفاعل اللغوى بصورة جيدة نستطيع أن نقول : إن الملكة قد استقرت وتحولت من اكتساب إلى طبع أو عادة .

(ب) اختلاف المنطلق الفكرى للمتحدثين عن الملكة اللسانية :

١-***فعبد الله النعيمى*** لم يعتن بالجانب اللغوى بصورة كبيرة ولهذا لم يحاول تقديم تعريف إجرائى شامل لمفهوم الملكة اللسانية عند ابن خلدون.

٢-***محمد عيد :*** يميل إلى التراث ؛ لهذا حاول أن يربط مفهوم الملكة اللسانية بالمعاجم العربية ، ولم يقارنها بما يقترب من مفهومها عند المحدثين ، وبخاصة عند الغرب الذين هم أكثر تقدماً من الناحية اللغوية.

٣- ***ميشال زكريا :*** حين عَرَّف الملكة اللسانية ارتبط بخلفية أكاديمية غربية ، مكنته من تقريب المفهوم الخلدونى ***للملكة اللسانية*** من مفهوم الكفاية اللغوية عند تشومسكى.

٤- أمّا ***مصطفى فهمى*** فغرضه نفسى (سيكولوجي) أى تقديم تعريف سيكولوجى لمفهوم الملكة اللغوية ، وإن ورد به بعض الكلمات التى ترددت على لسان ابن خلدون مثل (استعداد فطرى ، المحاكاه - ترديد)

وفى ضوء ما سبق يمكن الخروج بالتعريف الإجرائى لمفهوم الملكة اللسانية كما يعنيها البحث الحالى :

الملكة اللسانية :

هى القدرة اللغوية المكتسبة من معايشة النصوص - فهما وحفظاً - الراقية التى تُمَكّن مكتسبها من الصواب اللغوى فى شتى صور التواصل اللغوى (استماعاً ، وحديثاً ، وقراءة وكتابة)

٢- الملكة اللسانية واللغة :

ولما كانت الملكة اللسانية مرتبطة باللغة كان من الضرورى معرفة مدلول كلمة اللغة عند ابن خلدون .

يقول ابن خلدون : ***اللغة عبارة المتكلم عن مقصوده (ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤ / ١٣٩٩)*** أى أن اللغة وسيلة يمتلكها متكلم اللغة ويعبر بواسطتها عن آرائه ومتطلباته . فهى الوسيلة التى تميز الإنسان عن غيره من الكائنات . وتكمن أهميتها فى أنها تتيح لمتكلمها إتمام عملية التواصل بينه وبين أفراد بيئته . وتيسر له التعبير عن آرائه وإحساسه لمن حوله.

وابن خلدون يرادف بين كلمة اللسان واللغة يقول فى هذا : " اللسان فى كل أمة بحسب اصطلاحاتها " ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٤٣٦)***

يُلاحَظ من مقولة ابن خلدون:أنه لم ينسب اللسان إلى جنس معين وإنما أطلق معناه بصفة عامة ، لتنطبق على كافة اللغات فى جميع الأجناس ." ومن ثَمّ كان الإصطلاح أو العرف اللغوى هو المحدد للتفاعل والتواصل اللغوى " فالدلاله هى بحسب ما اصطلح عليه أهل الملكة اللسانية ، فإذا عُرِفَ اصطلاح فى ملكة ، واشتهر صحت الدلالة ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤ / ١٣٤٦)***

اللغة عند ابن خلدون نتاج ثقافى يتوارثها الأجيال ، وهى لا تنتج عن الإنسان بصورة عفوية ، وإنما هى نتاج قصدى عقلى . يقول ابن خلدون :" وتلك العبارة فعل لسان ناشىء عن

القصد بإفادة الكلام " ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤/١٣٤٦)*** . وهذا الفعل نابع من إرادة الإنسان بعد إعمال العقل ، وتكامل الفكر ليتم للمخاطب ما يريد للمتلقى .

مما سبق يتضح أن ابن خلدون قد أحاط بمفهوم اللغة . مثلما حاول علماء اللغة المحدثين . وقد تحسس بحدسه العلمى كثيراً مما ينادى به علماء اللغة المحدثين.

إن اللغة عند ابن خلدون تكتسب بالمران والممارسة حتى تصبح عادة . ونجد صدى هذا الرأى عند " ***هال*** " ***Halle*** يقول ***هال*** : إن اللغة وسيلة التواصل القائمة على رموز كيفية . وهذه الرموز تنتقل من المتكلم إلى السامع فهى عادة عنده " ***(ميشال زكريا ، ١٩٨٦ : ١٦)***

والنظر إلى اللغة على أنها عادة نظرة تبناها البنيويون الأمريكيون من أمثال ***بلومفيلد*** Bloomfiled فى حديثه عن اللغة واكتسابها ، وهذا ناتج عن تأثير المدرسة السلوكية فيهم ". ***(مصطفى زكى التوني ، ١٩٨٩ : ٢٧-٢٨)*** ، ولهذا نجد تأثير المدرسة السلوكية واضحة على تعريف ***بلومفيلد*** للغة حيث يقول : إن الكلام يتلفظ به الإنسان من خلال سيطرة مثير معين يختلف باختلاف المجموعات البشرية . فالبشر يتكلمون لغات متعددة .

إذن اللغة عند ***ابن خلدون وهال وبلومفيلد*** هى عادة . إلا أن ابن خلدون لم يربط عند حديثه عن اللغة واكتسابها بأى مثير، ولم يقل أن اللغة مثيراً واستجابة ، وهنا يلتقى ابن خلدون مع واحد من أشهر علماء اللغة ، وهو ***ناعوم تشومسكى*** الذى رفض وجهة نظر ***بلومفيلد وهال*** ، وأكد مردداً على وجهة نظر ابن خلدون - "على أن الطفل يكتسب لغته من البيئة المحيطة به بالاستناد إلى مقدرته الفطرية على اكتساب اللغة" . ***(ميشال زكريا : ٢٧)*** وابن خلدون فى تعريفه للغة يتفق المحدثين حين عرفوا اللغة يوضحة الجدول التالى.

جدول رقم (١) *(المصدر: ميشال زكريا ، ١٩٨٦ : ٢٠)*

يوضح نقاط الالتقاء وجهة نظر ابن خلدون مع علماء اللغة المحدثين في تعريفهم للغة

تعريف / المسائل الألسنية (اللغة)	إدوار سابير	فردينساد دوصوصير	أنطوان مايه	بلوم فيلد	أنوريه مارتينية	هال	بلوخ وترانجر	شوميسكى	ابن خلدون
وسيلة تواصل ،مؤسسة إجتماعية	*	*	*		*	*	*		*
اختلاف اللغات من مجتمع لأخر				*	*		*		*
تنظيم رموز وإشارات	*	*	*			*	*		
عادة كلامية				*		*			
مجموعة لا متناهية من الجمل								*	
أصوات تحتوى على دلالات		*		*	*			*	*
فعل لسانى									*
ملكة لسانية								*	
طابع اصطلاحى كيفى									*
التكلم القصدى	*						*		*
								*	*

تعقيب على الجدول السابق:

يستخلص من الجدول السابق أن ابن خلدون فى معرض حديثه عن اللغة قد أحاط بالمسائل اللغوية التالية:

١- اللغة وسيلة تعبير وتواصل.
٢- اللغة تختلف من مجتمع لأخر.
٣- اللغة أصوات تحتوى على دلالات.
٤- اللغة فعل لسانى.
٥- اللغة ملكة لسانية.
٦- اللغة ذات طابع اصطلاحى.
٧- اللغة فعل قصدى ، عقلى.

٣- كيفية تكوين الملكة اللسانية :

يمر اكتساب الملكة اللسانية بمراحل عديدة يلخصها ابن خلدون فى قوله " الملكات لا تحدث إلا بتكرار الأفعال ؛ لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون حالاً .ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أى صفة راسخة *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤ / ١٣٨٩)* .

"وفقاً لكلام ابن خلدون فى كيفية تكوين الملكة نجده يركز على مبدأ الارتياض بالمعاودة ، فيكون الحدث اللغوى محصول معادلة الممارسة والتكرار ، أى أن الحدث اللغوى منتوج الفعل مضروباً فى الزمن : اكتساب اللغة = الممارسة + (التكرار × الزمن) = ملكة لسانية .

وبديهى أن يلح ابن خلدون على تمييز ملكة الحدث اللسانى عن مجرد الفهم أو الإدراك لأن القدرة على فهم المواضعة اللغوية لا تتضمن وجوباً القدرة على صياغة تلك القوالب أو مثيلاتها ؛ فلحظة حدوث الاكتساب تتحدد إذن بحدوث القدرة على التصرف فى التعبير بحسب ماوعاه الإنسان من تراكيب الألفاظ وترتيبها وأساليب النظم .

كل ذلك يمكن أن نطلق عليه لحظة التحول من الاختزان إلى الإنجاز بالتصرف العفوى ، والابتداء التلقائى وهو ما يسميه ابن خلدون " فتق اللسان بالمحاورة " ***(عبد السلام المسدى ، ١٩٩٤ ، ١٩٦-١٩٧)***

٤- الملكة اللسانية بين مفهوم تعلم اللغة واكتساب اللغة :

إن الناظر لمقدمة ابن خلدون وبخاصة الجزء الرابع يجد أن دلالة الملكة اللسانية تكاد تتفق مع مصطلح اكتساب اللغة " Acquisition Langauge " ومصطلح اكتساب اللغة كما يرى كراشين " Krashen " أنها العملية التى تتم بشكل طبيعى دون الحاجة إلى تعلم . كما يحدث عند اكتساب الطفل للغته الأم . أما عبارة تعليم اللغة ، فهى العملية التى تتم عندما نتعلم اللغة عن طريق النظام المدرسى الرسمى .***(نايف خرما ، على حجاج ، ١٩٨٨ ، ١٩)***

وبعض المراجع اللغوية الحديثة تجعل مصطلح تعلم اللغة فى المقابل لمصطلح اكتساب اللغة ***(David Crystal , 1987 : 90) ، (Roland Carter ,1994 : 42-92)***

ولهذا جعل ابن خلدون الملكة اللسانية تكتسب من ارتياض كلام العرب . وليس من مجرد تعلم القواعد النحوية ولعل المثال التالى يوضح مدى ريادة ابن خلدون – بين مفكرى العرب فى موضوع اكتساب اللغة ، وتفهمه لطبيعة اكتساب اللغة وسبقه لرواد الغرب فى هذا الصدد:

الملكة اللسانية وطريقة غوون(*)

سبق وأن اتضح أن دعوى ابن خلدون فى تربية الملكة اللسانية تتم بصورة صحيحة ، إذا ما اكتسبت اللغة فى بيئة إجتماعية دون التركيز على قواعد اللغة،فاللغة واكتسابها تتم بالممارسة ،

ترجمة كلمة غوون وردت فى كتاب (إبراهيم حمادة ، ١٩٨٧: ٥٠) ، وكان الباحث قد ترجمها بكلمة "جوين" وهى موجوده –كذلك – فى كتاب (دوجلاس هـ. براون ، ١٩٩٤ : ٦٧-٦٩) ولاختلاف الترجمة رجع الباحث لبعض من أساتذة اللغة الإنجليزية فأقروا النطقين لهذا العَلَم . فآثر الباحث استخدام كلمة غوون ترجمة للعَلَم. " Gouin "

هذه النظرة الخلدونية ، جاء لها مثيل فى العالم الغربى فى بداية القرن التاسع عشر . فقد آمن أحد المربين الفرنسين – ويدعى غوون - F. Gouin (*) أن اللغة يتم اكتسابها بالممارسة والتكرار ، ولا تكتسب من حفظ القواعد النحوية.

تبدأ قصة غوون " Gouin " عندما قرر تعلم الألمانية فذهب إلى جامعة هامبورج بألمانيا، واستقر بها لمدة عام كامل وبدلاً من احتكاكه بالألمان فضل أن يتعلم اللغة بمعزل عنهم. !! فعند وصوله قرر أن يحفظ كتاباً عن النحو الألمانى ، وأن يحفظ جدولاً يتكون من (٢٤٨) فعلاً شاذاً . وقد أكمل المهمة فى عشرة أيام فقط . وهرع إلى الجامعة ؛ ليختبر معرفته الجديدة ، ولكنه وصف نتائج الاختبار قائلاً:

لم أتمكن من فهم أى شىء ، ولاحتى كلمة واحدة !! إلا أن ذلك لم يضعف من عزيمته ، فحاول مرة أخرى ، وعاد إلى عزلته فى غرفته ، ليحفظ هذه المرة كتاب النحو ، والأفعال الشاذة بالإضافة للأفعال العادية . وخرج على أمل النجاح ولكن النتيجة كانت كسابقتها.

وفى غضون السنة التى أمضاها غوون فى ألمانيا ليتعلم اللغة حفظ ما يقرب من (٣٠) ألف كلمة ألمانية من المعجم الألمانى . كل ذلك وهو فى غرفته منعزلاً . ولقد كانت النتيجة أنه فشل فى فهم اللغة الألمانية كتابة وحديثاً . لقد حاول الحديث مرة واحدة أدت إلى ضحك الناس عليه مما أصابه بالخجل الشديد .وفى النهاية آمن غوون أن هذه الطريقة خاطئة وعاد لوطنه فرنسا فوجد أن حفيده الذى يبلغ من العمر أربع سنوات ، استطاع أن يتحدث فيُفْهِم الأخرين ، ويُفْهَم هو من الأخرين – فقد تحول من رضيع صغير إلى مخلوق يتميز بقدرة خارقة مما جعل ***غوون*** يتسأل:

أهناك سر فى اكتساب اللغة ؟

كيف تكتسب اللغة ؟ وللإجابة على ما سبق أخذ ***غوون*** يلاحظ حفيده والأخرين من الأطفال وخرج بالنتيجة التالية:

إن تعلم اللغة ليس إلا تحويل المدركات إلى أفكار . وأن الأطفال يستعملون اللغة للتعبير عن أفكارهم . وأن تعلم اللغة وسيلة للتفكير وتصوير العالم من حولنا . وأن تعلم اللغة لا يتم إلا فى بيئة الفرد ، ومن محاكاته للأخرين.

(*)ف. غوون ، مدرس فرنسى عاش ما بين القرن (١٨٣١–١٨٩٦) ويعتبر من أعظم الأوائل الذين فكروا فى تقنين اكتساب اللغة من خلال ملاحظاته الشخصية على تعلم الأطفال للغة . وقد فتح بملاحظاته هذه الباب أمام العديد من الباحثين فى ميدان اكتساب اللغة . ينظر فى ذلك(Richards ,C .Jack and Rodgers ,S. Theodore , 1983 :60)

من هنا ابتكر غوون طريقة جديدة لتعلم اللغة سميت بطريقة المنظومةThe Series "
" Method وهى تعتمد على اكتساب اللغة دون الاعتماد الكلى على القواعد (*).

وقد نجح غوون فى تعلم اللغة الأطفال ؛ لأن اللغة فهمت وخزنت ، وتم تذكرها وربطها بالمعانى ***(دوجلاس براون ، ١٩٩٤ : ٦٩)***

"وهذه الطريقة جيدة لأنها تساعد الطالب على الاستيعاب من ناحية ، والتذكر من ناحية أخرى ، وهي تجنب الطالب التلقين ، وتعتمد على توظيف النحوفالمواقف الطبيعية بدلاً من الشروح النظرية التى لا تلبث أن تتبخر *" (إبراهيم حمادة ، ٥٢)*

"إن تعليم اللغة ينبغى أن يتم من خلال الحياة اليومية لا من خلال أمثلة غير جيدة . إن العديد ممن تعلموا النحو بالطريقة التقليدية " Traditional Approach " لا يكونون قادرين على التواصل اللغوى الجيد ، وكأن النحو عندهم لا يمثل أى علاقة بالتواصل (Divedcrystal,1987 ; 89)

٦- عناصر تكوين الملكة:

إذا كان للملكة مراحل يتم فيها تكوينها ، فلا بد وأن يكون لهذه الملكة عناصر تنميها وتساعد في تكوينها علي الوجه الأكمل. يقول ابن خلدون فى هذا :

"ووجه التعلم لمن يبتغى هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم الجارى على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ، وكلام فحول الشعراء ؛ حتى يتنزل منزلة من نشأ بينهم – من كثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور – ولقن العبارة عن المقاصد منهم ، ثم يتصرف بعد ذلك فى التعبير عما فى ضميره حسب عباراتهم" (**ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٣٩٨**)

إذن ابن خلدون عندما أراد تكوين الملكة ، استند على التراث الاسلامى ، فأصل المعرفة عند العرب دينى،أصله القرآن والحديث وغيره من علوم اللغة – العربية – كالشعر والنثر فقد قرر ابن خلدون أن مكتسب اللغة لابد وأن يُطّلِع على التراث العربى ؛ " لأن حصول الملكة رهينة المعاودة المفضية إلى ارتسام المنوال الذى نسجت عليه مواصفات اللغة فى مخيلة المتعلم ، فإذا ما هم بالخطاب نسج على منوال سنن العرب من حيث يشعر أولا يشعر ... والسر فى ذلك أن ما تلقاه وفهمه ثم حفظه عند الاستعمال والاختيار وإن ذهب رسمه الحرفى الظاهر من الذاكرة فقد تكيفت النفس به حتى انتقش الأسلوب كأنه المنوال يُأْخَذُ عليه بالنسج *(عبد السلام المسدي ، ١٩٩٤ : ١٨٥)*

(*)هذه الطريقة طورت فيما بعد وعرفت باسم طريقة بارلتز " Berlitz Methode " أو الطريقة – فيما بعد أيضاً – المباشرة " Direct Methode " ينظر فى ذلك(Richard C.Jack and Rodgars , 2-12)

وابن خلدون يشترط شيئاً أساسياً وهو الفهم قائلاً : " الملكة لا تحدث إلا بالفهم *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤ / ١٣٩٥)* . بذلك يكون مفهوم الملكة متطابقاً مع مبدأين أساسين هما مبدأ المعرفة والعلم ، ومبدأ القدرة أو الاستطاعة . وبينهما من التفاعل العضوى ما بين الإدراك والتعبير أو التلقى والبث ، أو قل التفكيك والتركيب *(عبد السلام المسدى ، ١٩٩٤ : ١٩٥)* ومقومات الملكة اللسانية التي حرص عليها ابن خلدون هي القران الكريم والحديث الشريف والشعر العربي .

أ- القرآن الكريم :

يقول ابن خلدون :" اعلم أن تعليم الو لدان للقرآن الكريم شعار من شعائر الدين . أخذ به أهل الدين ودرجوا فى جميع أمصارهم لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان ، وعقائده من آيات القرآن . وصار تعليم القرآن أصل من الأصول التعليمية الذى ينبغى أن يبنى عليه ما يحصل من الملكات ؛ والسبب فى ذلك أن التعليم فى الصغر أشد رسوخاً . وهو أصل لما بعده ، لأن السابق للأول للقلوب كالأساس للملكات ، وعلى حساب الأساس وأساليبه يكون حال ما يبنى عليه *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : ج ٤/ ١٣٥٩)*

وابن خلدون لا ينسى – حين يحدد مقومات الملكة – أن يوضح عناية الأمصار فى ذلك واختلافهم فى طرق تعليمه . فيرى أن الأندلس أجود حالاً من المغرب ، وابن خلدون هنا يؤيد راى ابن عربى الذى يرى أن تعليم الشعر واللغة يأتى قبل تعليم القرآن . وإن كان هذا لا يحدث فى الأندلس " لأن أهل الأندلس كانوا يعلمون الأطفال بجانب حفظ القرآن بعض الشعر والخط ، والحساب ... فتجود الملكة ." *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : ج٤ /١٣٦٢)*

والواقع إن حفظ القرآن الكريم فى سن مبكرة تتميز فيها الذاكرة بصفائها عملية سهلة ميسرة ...

" فالقرآن الكريم إلى كونه ذخيره لغوية ودينية وعملية تربوية وأخلاقية لمن يحفظه – وإن لم يعِ معانيه فى الصغر فلا شك وأن ذلك سينمو بالقطع مع نموه العقلى ، وسيبقى له ذخيره لغوية فى الدنيا ، وكذلك هو فى ميزان حسناته فى الآخرة " *(زغلول راغب النجار ، ١٩٩٠ ، ١٤٢)*

وينبغى أن يكون حفظ القرآن على حساب أحكام التجويد فهو أفضل الوسائل فى تقويم المعوج من لسان الطلاب من الناحية الشفوية يقول الإمام الجزرى :" ولا أعلم لبلوغ النهاية فى التجويد مثل رياضة الألسن ، والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المُحَسّنِ . وقاعدته ترجع إلى معرفة كيفية القراءة *(السيوطى ، ١٩٧٤ : ٢٦٣)*

"ولا شك أن أحكام التجويد لا تعالج أصوات العربية فحسب ، بل تعالج أيضاً التراكيب بالقرائن اللفظية أو المعنوية . مثل قوله تعالى :﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ ، فلابد من

معرفة الفاعل من المفعول حتى يستوى عند القارىء المعنى . ويقول السيوطى :" التجويد يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ ويستحب الأخذ به على المتعلمين من غير أن يتجاوز حد الإفراط :" ***(السيوطى ، ١٩٧٤ :٢٦٣)***

"والقرآن الكريم يتميز بالثراء الفنى والموضوعى ، فقصص القرآن الكريم بما تتضمنه من ملامح فنيه تجسد كثيراً من المبادىء الأخلاقية كالصبر والثبات على المبدأ..... مما يمكن أن يستثير لدى الأطفال هذا الاتجاه ، فيعينهم على إذ كاء تصوراتهم ؛ مما يساعد على مواجهة مشكلات الحياة ، والتفكير السليم فى قضاياها والتمتع بمظاهر الجمال السوية فى الحياة ، بالإضافة إلى التراكيب اللغوية البليغة ***(سعد أبو الرضا ، ١٩٩٣ :٤٢)***

(ب) الحديث الشريف(*):

يعتبر الحديث الشريف أفصح النصوص اللغوية بعد القرآن الكريم ، لقوله صلى الله عليه وسلم: " أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ، ونشأت فى سعد بن بكر ... وجرى على لسانه صلى الله عليه وسلم من الأساليب ما جهله العرب ، وهو منهم وهو يتحدث بلغتهم التى فقهوا أساليبها ، ورأى العجب والدهشة فقال : إنما أوتيت مجامع الكلم " ***(محمد الخضرى ، ١٩٩٥ : ٢٩١)***

ولقد كان الحديث الشريف المصدر الثانى فى التشريع ، وهو المصدر الثانى كذلك الذى اعتمد عليه النحاة فى الاستشهاد على قواعدهم التى وضعوها ، واستنبطوها على ضوء قراءاتهم وفهمهم للقرآن والحديث وتراث العرب الأدبى.

ظهر أثر الحديث فى رجال الأدب والفكر فقد اغترفوا منه الكثير والكثير لاحتوائه على البليغ من القول ***(محمد محمد خليفة، ١٩٧٧ : ٩٩-١٠٠) ،(سعد أبو الرضا ، ١٩٩٣ : ٤٤) (عبد الكريم بكري ، ١٩٩٤ : ٢٤)***

(جـ) الشعر

يقول ابن خلدون :" إن الشعر فن من كلام العرب الشريف ولهذا جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم ، وشاهد صوابهم ، وخطئهم وأصلاً يرجعون إليه فى كثير من علومهم وحكمهم.

والملكة اللسانية إنما تكتسب بالصناعة والارتياض فى كلامهم حتى يحصل شبه ملكة من شعر عالى الطبقة ، وسجع متساوٍ فى الإجادة ، ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة فى أثناء ذلك

(*)عقد ابن خلدون فصلاً تحت عنوان :" علوم القراءات والحديث – تحدث فيه عن علوم الحديث مفنداً رجاله ، وبداية الكتابة فيه . فصل رقم (١٢) (ابن خلدون ، ١٩٦٨ : ج٣/ ١١٣٣)

متفرقة يستقرىء منها الناظر فى الغالب معظم قوانين العربية ، مع ذكر بعض أيام العرب .... والمقصود من هذا كله ألا يخفى شيء على الناظر فيه من كلام العرب ، وأساليبهم وبلاغتهم إذا تصفحه ، لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :ج٤/ ١٤١٠)*

إذن ابن خلدون يهتم بالشعر لأنه ديوان العرب ووظيفته التعليم من بعض نواحيه ، كما قال هوراس *(هوراس ، ١٩٨٨، ٩٠)* وابن خلدون يقرر ضرورة تناول المسائل النحوية كما وردت بالنص الشعري .

وقد حث المربون على ضرورة حفظ الشعر قال القابسى:

"إن الشعر يقيم لسان الصبى ، ويفصحه ، فيأنس إليه بعض الأوقات ويستشهد فيما يريد بيانه "

وابن خلدون دائماً يقرر أن الشعر الإسلامى ،وخصوصاً شعر صدر الإسلام أجود من الجاهلى وأيسر ، فهو شعر عالى الطبقة " وهو هنا يأخذ برأى ابن عربى *(هنرى بيرس، ١٩٩٠: ٣٣)* وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم – على حفظ الشعر ، وكذلك المسلمون الأوائل كانوا يحرصون على ضرورة تحفيظ أبنائهم الشعر الجميل

وابن خلدون فى حديثه عن الشعر يوضح : أن الشعر يعبر عن الثقافة المرغوبة أو المرادة ؛" لأن جذور اللغة تمتد إلى البيئه الإجتماعية التى ترتبط بها الفرد بحكم انتمائه إلى المجتمع، فلا يمكن فصل الثقافة عن اللغة ، ولا اللغة عن الثقافة المجتمعية السائدة" *(يحى أحمد ، ١٩٨٨ :٧٣)* "إن المجتمع يفرض على الفرد سلوكاً لغوياً معيناً" *(على هنداوى ، ١٩٨٣ : ٨٠)*

وتأتى أهمية تدريس الشعر فى الفصل المدرسى من الآتى :

١– أن دراسة الشعر فى الفصل المدرسى أو خارجه يقدم الأسلوب الأمثل – الفصيح – للتلميذ فى استخدام اللغة – فتعلم اللغة من خلال الأدب يفضى بالمتعلم إلى تركيز الانتباه على طرق التراكيب اللغوية المختلفة والركيزة الأساسية فى هذا أن الأدب يتكون من اللغة *(Narsal Içöz , 1992 , 10)*

٢– إمداد الطالب بفيض من الأمثلة المناسبة و الجمل المركبة المناسبة للطالب.

(Narsal Içöz , 1992 : 7)

٣– تنوع الأسلوب اللغوى داخل النص الواحد يعطى المتعلم قدرة على تنوع الأسلوب واستخدام الطلاب لما يتعلمونه من دروس الأدب يشعرهم بجودة استخدامهم للغة . أى أن الطالب يشعر بقيمة ووظيفة ما يتعلمه*(M .L.B .Moody ,1983 : 7)*

٤– إن حفظ الطلاب للأدب والاستشهاد به فى المواقف الحياتية يميزهم عن الأخرين ذوى الأفكار الضحلة والألفاظ الركيكة ." فقيمة المرء فيما يحسن "

٥- احتفاظ المتعلم بألفاظ وتراكيب الأسلوب الشعرى يبعده عن استخدام اللفظ او المعنى *(مصطفى رياض ؛ ١٩٨٥ ، ٦٦)*

٦- تدريس النحو من خلال الأدب يجعل التلاميذ ينمون وعيهم بالتراكيب النحوية : ويمدهم بالتواصل اللغوى الجيد من خلال إمدادهم بالمفردات الجيدة بالإضافة إلى وعيهم بالتراكيب النحوية *(Carrol Roland , 1992 : 57)*

٧- الأدب فن وسيلته تشكيل الكلمة ومن هنا فتأثيره الإيجابى على الطفل يتمثل فى نمو مفرداته وزيادتها وتنوعها.

تعقيب :-

ابن خلدون عند حديثه عن مقومات الملكة اللسانية كان دائماً يركز على الناحية الإسلامية. فقد ذكر القرآن ثم الحديث ثم الشعر ، وخصه بشعر صدر الإسلام ، فقد أعجب ابن خلدون بشعر المتنبى وقرأه ويكاد الباحث يزعم أن سبب تأليف المقدمة يكمن فى كيفية استعادة الشخصية العربية السليبة فى الأندلس بسبب دخول العجم ، والمسيحين فى بلاد الإسلام ، فابن خلدون يريد إعادة تطبيع الشخصية العربية الأندلسية بالطابع الإسلامى . كما كان من قبل دخول العجم فكانت مدونته " المقدمة " فهو يريد تطبيعاً اجتماعياً ثقافياً مغايراً لما كان سائداً فى الأندلس . فأصل البلاء كما يرى ابن خلدون دخول العجم (*) والمسيحين فى البلاد الإسلامية وتأثيرهم الإجتماعى على العرب أو البربر " فلقد أسهمت المرأة المسيحية – غير العربية – بأعدادها الكثيرة فى تكوين جنس لا يمكن أن ندعوه عربياً ، ولا بربرياً ... ويمكن القول بأن المسيحيات غيرن شيئاً من طريقة حياتهن ، وكذلك أبنائهن ، وقد تلقوا تربية مسيحية على الأقل فى الأعوام الأولى من طفولتهم . وهناك حالة واضحة لهذه التربية لأحد الملوك الذى كان لأم مسيحية وأب مسلم عربى ، انفصلا كلاهما وعادت الأم إلى الأراضى المسيحية ، مصطحبة معها ابنها فتربى مسلم الاسم مسيحى المَرْبَىٰ والعقيدة .... وأصبح فيما بعد ملكاً لمنطقة تسمى دانية ... وكان معروفاً تماماً أنه احتفظ طوال حياته بإيثار أولئك الذين ربوه فى طفولته ومراهقته . *(هنرى بيرس ، ١٩٩٠ : ٢٥٥)*

" وهناك مثال صارخ على ضعف الروح الإسلامية لدى بعض أولى الرأى –الواجب اتباعهم – ***فَوَلَّادَة بنت الخليفة المستكفى*** تظهر سخفاً واحتقاراً بالحجاب ، أو الخمار ..." وهذا

(*) الكلمة الأكثر شيوعاً لتسمية المسيحين المستعربين أو مسيحى البلاد الأجنبية هى عَجَم ، ويجىء معناها فى مواجهة كلمة عرب .... وفى أسبانيا كانت كلمة العجم تطلق على غير عرب الجزيرة بمعناها الواسع الأسبان المسيحين . (هنرى بيرس ، ٢٤٩)

يعنى أن الإسلام قد ارتخت قبضته شيئاً فشيئاً فى الأندلس ، وبخاصة إذا كان المناخ السائد أوجدته بيئة ذات عادات مسيحية *(هنرى بيرس ، ١٩٩٠ : ٣٤٩)*

من هنا كان ابن خلدون دائم الحرص على العودة مرة أخرى للعروبة الإسلامية التى كادت تندثر فى ظل العادات المسيحية التى انتشرت فكانت وسيلة ابن خلدون لإعادة العربى مرة أخرى لحظيرة الإسلام من خلال الدين الإسلامى والشائع من القول الجيد المتمثل فى الأدب العربى وبخاصة أدب صدر الإسلام.

إذن إذا اردنا أن نربى النشء تربية تبعدهم عن العادات غير الإسلامية . كان ولابد أن نعرفهم على العادات الإسلامية أى كان ولابد أن نعرفهم على العادات والقيم من خلال اللغة المبثوثة في ثنايا مقومات الملكة اللسانية .

إن تذكير النشء وتطبيعهم على العادات العربية يجعلهم يُكَوِّنون العصبية الإسلامية التى فقدت فى الأندلس مع مرور الزمن ودخول العجم أراضى المسلمين وزواج المسلمين من المسيحيات...

إن الغرض من تكوين الملكة اللسانية من خلال مقوماتها المتمثلة فى القرآن ، والشعر والحديث النبوي ، هو استعادة العصبية العربية من خلال تكوين جيل متمسك بتعاليم الإسلام ، وبالتالى قادر على استعادة الملك ، ولن يتأتى ذلك إلا بترسيخ التطبيع الإجتماعى الإسلامي في نفوس النشء .

وتأكيدابن خلدون على هذا التطبيع الإسلامي ؛ إنما مرجعه إلى تنشئة ابن خلدون الدينية

إن الملكة اللسانية بهذا البُعد الخلدونى يجعل الباحث يتطرق إلى جانب هام وهو أن ابن خلدون نظر إلى الملكة اللسانية نظرة اجتماعية.

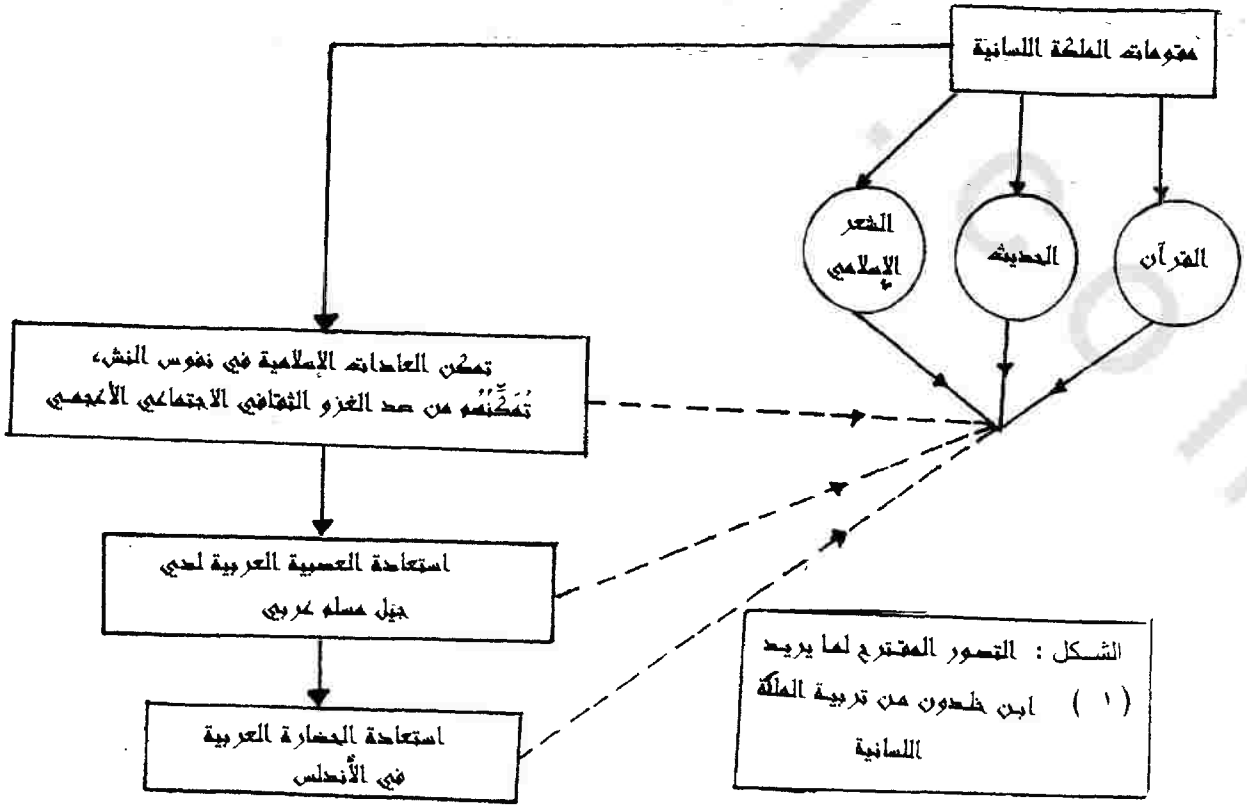

الشكل : التصور المقترح لما يريد (١) ابن خلدون من تربية الملكة اللسانية

٧- الملكة اللسانية من منظور اجتماعى :

تحدث ابن خلدون عن الملكة اللسانية من خلال منظور إجتماعى ؛ لإيمانه بأن اللغة أحد المنتجات الاجتماعية ." إن كل إنسان نشأ وترعرع فى بيئة تتكلم لغة معينة قد اكتسب الملكة اللسانية لهذه اللغة . فالملكة اللسانية صفة فى النفس مستقرة وراسخة ، فهى المقدرة على استعمال اللغة من خلال المعرفة الضمنية بقواعد اللغة ، وقوانين الصناعة الخاصة بقواعد كتابة هذه اللغة التى اكتسابها الفرد خلال تنشئته الإجتماعية" ***(ميشال زكريا ،١٩٨٦ : ٣٠)***

يقول ابن خلدون مؤكداً على الجانب الاجتماعى فى الملكة اللسانية :" فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم فى مخاطبتهم وتعبيرهم عن مقاصدهم ؛ كما يسمع الصبى المفردات فى معانيها فيلقنها كذلك ، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد فى كل لحظة ومن كل متكلم ، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة مستقرة ، ويكون كأحدهم . وهكذا تصيرت الملكة اللسانية فى كل جيل . وهذا ما تقوله العامة : إن العربى ينطق بالطبع ، أى بالملكة الأولى ، التى أخذت عنهم ولم يأخذ وها من غيرهم ***(ابن خلدون، ١٩٦٨ :ج٤/ ١٣٩٩)***

اذن عملية اكتساب الملكة اللسانية لا علاقة لها بجنس ، ولا بعوامل وراثية " فالطفل بمقدوره إتمام عملية الاكتساب من خلال نموة فى المجتمع الذى ينشأ فيه ، ويتعرض فيه لكلام أهله ". ***(ميشال زكريا ، ١٩٨٦ : ٨١)***

من هنا يمكن القول إن ابن خلدون يتفق مع علماء الاجتماع المحدثين الذين يرون أن عملية التطبيع الاجتماعى هى " سلوك الفرد المحدد تحديداً كلياً عن طريق المثيرات والمؤثرات الثقافية والاجتماعية ومن ثم لا تميل إلى الاعتراف بالفروق الفردية أو أهمية العوامل السيكولوجية ***(عاطف غيث ، ١٩٩٣ : ٤٥٢)***

إذا كان الأمر كذلك فهناك علاقة بين اللغة وبين الدين والسلطة الحاكمة ، فلقد انتشرت الدعوة الاسلامية من خلال هجرة لغة المغلوبين ودخولهم فى لغة – المسلمين – الغالبين فاكتسبوا اللغة العربية وساعدت الدولة على ذلك ، لتوسعة رقعتها وسعة نفوذها...

يقول ابن خلدون :" اعلم ان لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين عليها؛ ولهذا كانت لغات الأمصار بالمغرب والمشرق – لهذا العهد – عربية وإن كان اللسان المضرى قد فسدت ملكته ، وتغير إعرابه ، والسبب فى ذلك ما وقع للدولة الإسلامية من الغلبة على الأمم الأخرى . والدين والملة صورة للوجود . والملك . وكلها مواد له . والصورة مقدمة على المادة .

والدين إنما يستفاد من الشريعة وهى بلسان العرب . وبما أن النبى عربى ، فوجب هجر ما سوى اللسان العربى من الألسن فى جميع ممالكها *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٢ ،١٠٢٢)*

ومن هنا نفهم أن العجم تخلوا عن لغتهم الأولى ، واتخذوا اللغة العربية وسيلة تعينهم محاولة منهم للتكيف مع وضعهم الجديد فى عملية تواصلهم اللغوى فى المجتمع ..." لأن استعمال اللسان العربى من شعائر الإسلام وطاعة للعرب *(ابن خلدون ،١٩٦٨ : جـ٣ / ١٠٢٣)*

وقد لاحظ ابن خلدون أن عامل الدين أقوى بكثير من عامل السلطة فى المحافظة على اللغة العربية .. " تسمعه يقول .. " لما تملك العَجَم من الديلم والسلجوقية بَعْدهم بالمشرق وزناته والبربر بعدهم بالمغرب ، وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية فسد اللسان العربى لذلك ، وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حفظ الدين، وصار ذلك مرجعاً لبقاء اللغة المضرية من الشعر إلا قليلاً بالأمصار العربية *(ابن خلدون ،١٩٦٨ : جـ٣ / ١٣٢٢)*

لقد حاول ابن خلدون – عند تقديمه لوجهة نظره فى الملكة اللسانية – أن يربط تعلم اللغة وتدريسها بالمقومات الإسلامية العربية ، ومن ثم قاد حملته على معلمى اللغة فقد كانت حملته على طرق تعليم اللغة ، إنما هى حملة على كل شىء ؛ لأنه شعر بأن زوال اللغة – فى أكثر الأمم – يبقيها بجميع مقوماتها غير ألفاظها ، ولكن زوال اللغة العربية ، لايبقى للعربى أو المسلم قواماً يميزه عن سائر الأقوام ، ولا يعصمه من أن يذوب فى غمار الأمم – كما حدث بالأندلس – فلا تبقى له باقية من بيان ، ولا عرف ولا معرفة ، ولا إيمان ....

ثامنا : العوامل المؤدية لنمو الملكة اللسانية :

لقد بنى ابن خلدون تصوره فى تربية الملكة اللسانية وحصرها فى عدة عوامل يمكن إيجازها فيما يلى :

من العوامل المؤدية لنمو الملكة اللسانية

١-الاستماع:

أ- أهمية الاستماع

يقول ابن خلدون : السمع أبو الملكات اللسانية ، جاء فى لسان العرب :" السمع ما وقر فى الأذن من شيء تسمعه ،ويقال ساء سمعاً فأساء إجابة (ابن منظور ، ١٩٧٩ : ٢٠٩٦) وثبت من البحث " أن المتعلمين يقضون (٤٥٪) من وقتهم فى الاستماع وفى الحديث و(٣٠٪) و فى القراءة ،(٩٪) وفى الكتابة.(*فتحى يونس وآخرون ، ١٩٨٧ : ١٩٢*)

وقدأثبت البحث أن الاستماع يمكن أن يُعَلّم ،بل إن تعلمه يحسن من أداء المتعلمين ،فتعلمهم كان ذا دلالة احصائية عن أقرانهم الذين لم يتعلموا الاستماع ،ولم يتدبروا على مهاراته(***Fried man G.paul , 1987 :4)***

ويلعب الاستماع دوراً بارزاً فى تعلم اللغةواكتسابها وهذا ما يؤكده العديد من علماءالنفس من أمثال: " برين مسكوتزى"الذى يروى "قصة صبى مصاب بالربو وكان ملازماً للفراش ،وكان سمعه عادياً وطبيعياً، ولكن والديه كانا مصابين بالصمم ،يتكلمان بلغة الإشارة فقط . وكان هذا الصبى حبيس البيت ، لإصابته بالربو ،ولكى يتعلم الصبى الإنجليزية ، فقد اتجه والداه - المهتمان بذلك - إلى جهاز التلفيزيون كل يوم ،وفى مده ثلاث سنوات استطاع الطفل أن يفهم لغة الإشارة ويستخدمها بطلاقة ، ولكنه لم يتعلم الكلام ،ولم يتكلم أو يفهم اللغة الإنجليزية ، لأن سماع اللغة داخل بيئته لم يكن كافياً (*ليندال ، دافيدوف ، ١٩٩٢ : ٤٠٤*)

من هنا نجد أن الاستماع له أهمية كبيرة جداً فى عملية اكتساب اللغة بالإضافة إلى توافر البيئة المساعدة على ذلك ،" فالاستماع مع الفهم والانتباه داخل البيئة اللغوية - الأسرة -يؤدى إلى اكتسابها وحفظهما دون وعى بها ، لأنها تصاغ على هيئة دلالات رمزية يزداد الاحتفاظ بها كلما كان الاستماع لها مكرر بحسب الارتباط .وفى أحد الأبحاث اللغوية وجد أن (٩١٪) من الأطفال استمتعوا بسماع القصص من أجدادهم ،وأمهاتهم ، مما أدى إلى زيادة ميولهم القرائية ، وجودة اللغة لديهم , ***David E,Eskey 1983 :2)***

ب- الاستماع والبيئة:

إذن البيئة لها دور أساسى فى تعليم اللغة واكتسابها وهذا يتضح من الأبحاث التىتوصلت إلى أن هناك فروقاً ذات دلالات إحصائية بين أطفال الملاجىء،والمؤسسات الاجتماعية ،وبين الأطفال الذين يعيشون فى أسر طبيعية لصالح الأطفال الذين يعيشون فى بيئة أسرية عادية حيث كان تحصيلهم مرتفع عن ذويهم فى المؤسسات الاجتماعية والملاجىء (*سعد لملوم ،١٩٧٣ : ١٦٩) (نادية بعيبع ، ١٩٩٠ : ١٩٤)* "واكتساب اللغة يتم داخل الأسرة من خلال الاستماع فالطفل يكتسب القيم الاجتماعية من خلال استماعه للمحيطين به وملاحظاته لانفعالاتهم ، من كل هذا يستطيع الطفل اكتساب اللغة.

(Micheal Rost , 1994 ; 1)

جـ- عمليات الاستماع:

عملية الاستماع عملية معقدة تتطلب بعض العمليات الأخرى مثل :

١- إدراك الرموز اللغوية عن طريق التمييز السمعى .

٢- فهم مدلول هذه الرموز.

٣- إدراك المحتوى أو الخطاب المتضمن فى الرموز أو الكلام المنطوق.

٤- تفاعل الخبرات المحمولة فى هذه الرسالة مع خبرات المستمع وقيمه ومعاييره.

٥- نقدهذه الخبرات وتقويمها،والحكم عليها فى ضوء هذه المعايير الإجتماعية المتفق عليها .

"فالاستماع إدراك وفهم وتحليل وتفسير وتطبيق ونقد وتقويم ؛ وهذا يتفق مع مقتضى الأهمية العظيمة الى أولاها الله لطاقة السمع(***على أحمد مدكور ، ١٩٩١ : ٧٩***)

د- مقومات الاستماع المؤدية لاكتساب الملكة اللسانية:

يقول ابن خلدون: "***المتكلم من العرب*** حين كانت الملكة اللغوية موجودة فيهم ***يسمع*** كلام أهل جيله ،وأساليبهم ومخاطبتهم ***وكيفية تعبيرهم*** عن مقاصدهم ، فيلقنها كذلك ثم لا يزال ***سماعهم*** لذلك يتجدد فى كل لحظة ، ومن كل متكلم ...ويكون كأحدهم وإن ذهب رسمه الحرفى الظاهر من الذاكرة ،فقد تكيفت به النفس حين انتقش الأسلوب كأنه المنوال يؤخذ بالنسج عليه (***ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤/ ١٣٣٩***)

ولنأخذ كلام ابن خلدون من وجهة النظر **اللغوية العصبية** Neurolinguistic Prespectiveلتضح الرؤىحول اكتساب اللغة وتعلمها .

٢- الاستماع والذاكرة من منظور علم اللغة العصبى

أ-نظرية البرهان العارض:

نتناول الاستماع والذاكرة وفق هذه النظرية ، لاعتقاد الباحث أنهاأوفى وجهات النظر فى هذا الموضوع ، وهذه النظرية توضح كيفية اكتساب اللغة بصفة عامة استقبالاً وإنتاجاً فهى ترى " أن الدماغ يعالج اكتساب اللغة وإنتاجه من خلال ثلاث مجموعات متأثرة بالبنى العصبية وهى كالتالى: (***إ.ردوماسيو ،١٩٩٤ : ٥١-٥٤***)

(١) مجموعة كبيرة من المنظومات العصبية تقع فى نصفى الكره المخية الأيمن والأيسر، وظيفة هذه المجموعة الكبيرة تمثيل الحركات المصاحبه للمتكلم . فتحولها إلى رموز يتفاعل معها المستمع لتصبح مفهومه لديه

(٢) المجموعة الثانية:

وهى أقل عدداً عما تقدمت، تقع فى النصف الأيسر من المخ وظيفتها تمثيل الحروف الصوتية وتركيبها .وتمثيل قواعد النحو الناظمة لربط الكلمات بعضها ببعض عند استقبال اللغة . سواء أكان الفرد متلقٍ للغة استماعاً أو قراءة.

(٣) المجموعة الثالثة:

وهى أقل المجمو عات كلها من الناحية العصبية ، فهى تستحث المجموعة الأولى والثانية على إعاده ترميز اللغة لمساعدتها علىإنتاج اللغةحديثاً أو كتابة.

"وقد أيد هذه النظريةعالم اللغة "لانكوف" الذى أثبت أن الأعصاب الموصله بين المجموعة الأولى والثانية تخدم عمليتى الفهم والتعبير"

إن اكتساب اللغة تتم من خلال ذاكرة شبهها البعض بأنها " سبورة العقل " إنهاالذاكرة العاملة، وقدعرفها البعض بأنها"نتاج الإطلاع الشعورى لحظة بلحظةمن جهة ،والاسترجاع اللحظى للمعلومات المختزنة من جهة أخرى.

وهذه النظرية توضح وتُفَصِّل أنواع الذاكرة المؤثرةفى اكتساب اللغة والتييلعب فيهاالاستماع دوراًهاماً نوجزها فيما يلى:

ب- أنواع الذاكرة وعلاقاتها بالاستماع:

يؤكد علماء التشريح أن للإنسان ذاكرات ثلاث هى:

١- ذاكرة قصيرة المدى

٢- ذاكرة عاملة

٣- ذاكرة طويلة المدى

١- الذاكرة قصيرة الأمد (المدى)

وهىالذاكرة التى من خلالها يتم تخزين المعلومات السهلة البسيطة ،والتى غالباً ما تكون معلومات مترابطة يتم إدخالها من مخزن الذاكرة الحاسى [سمعى بصرى] . فإذا ما كان هناك تكرار أو استرجاع مستمر ، تحولت هذه المعلومات إلى الذاكرة طويلة المدى.

هاتان الذاكرتان طويلة الأمد والذاكرة القصيرة المدى تقع فى النصف الأيسر من المخ.وبين الذاكرة الطويلة والقصيرة تقع الذاكرة العاملة وهى تكمل الترابط بين الذاكرتين للنهوض بأعباء التنشيط القصير ، "والذاكرةالعاملة تعتبر أروع تطور بشرى بالنسبة للعقل فهى تمكن الناس من التخطيط وربط الأفكار والتصورات معاً .....وتعينهم على استرجاع المعلومات الرمزية ،وتساعدهم على ترجمة هذه المعلومات إلى مجموعة منضبطة من الفعاليات الحركية "..." هى أساسية فى العمليات الحسابية البسيطة وتركيب الجملة، ولهذا فهىتعتبر أساسية لفهم اللغة ولتَّعلُّم ***(كولدمان وركيك ،١٩٩٤ : ٥٧)***

"وتكرار الاستماع يجعل المعلومات تنتقل عبر هذه الذاكرة الى الذاكرة طويلة الأمد " ***(الينداڤيدوف ، ١٩٩٢ : ٣٦٦)*** والشكل (٢) يوضح العمليات العقلية والذاكرة .

وقد وجد الباحثون فى مجال الذاكرة أن هناك نوعين من التعلم هما :

أ- التعلم الصريح ب- التعلم الضمنى

أ- التعلم الصريح :

هو تعلم يأتى نتيجه تدريب واحد على شىء معين . هذا التعلم يُعْتَقَدُ أنه يذهب إلى الذاكرة قصيرة المدى.

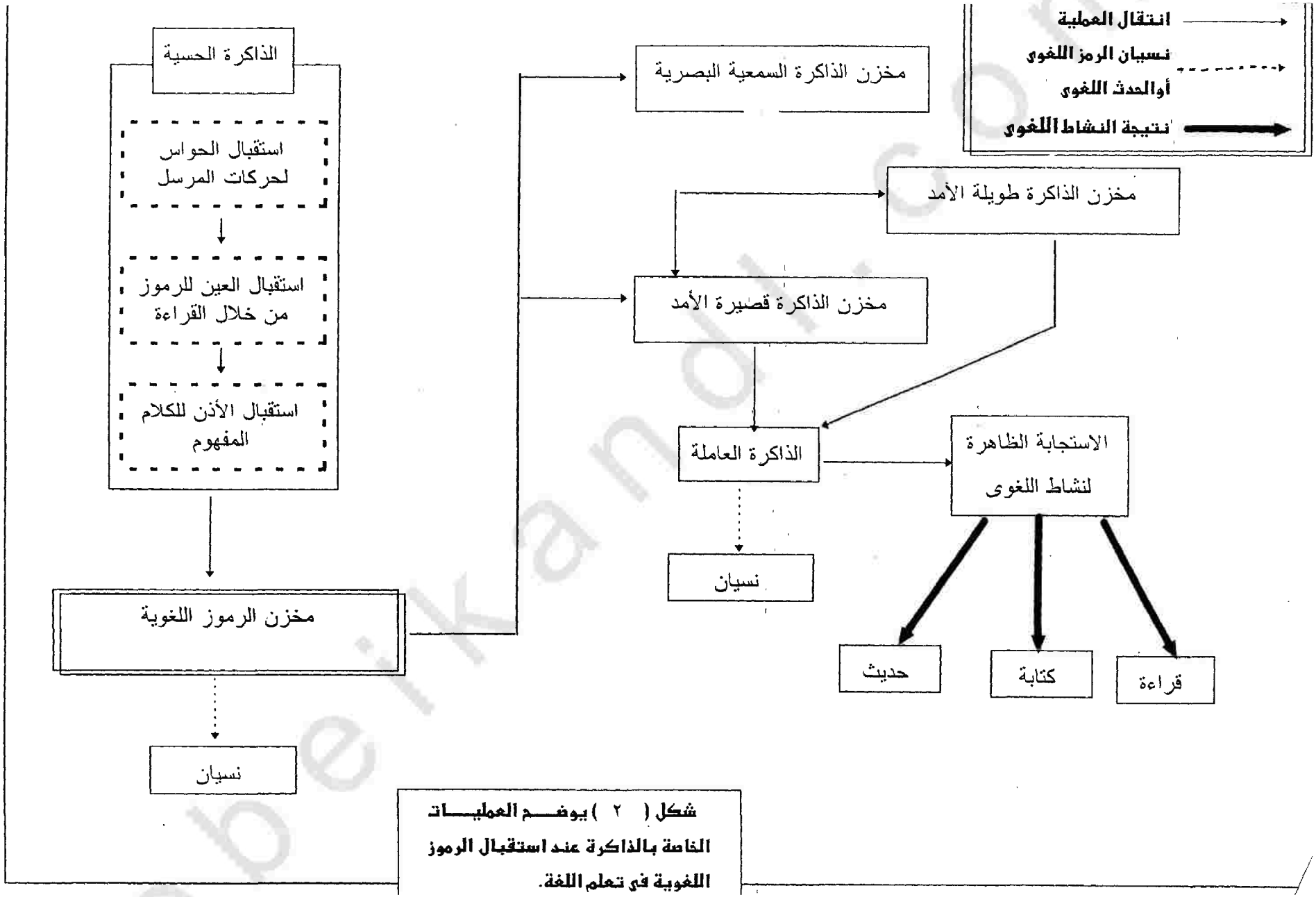

شكل (٢) يوضح العمليات الخاصة بالذاكرة عند استقبال الرموز اللغوية فى تعلم اللغة.

obeikandl.com

ب- التعلم الضمنى:

وهو تعلم بطيىء يتراكم عبر عدة محاولات ،وغالباً ما يتضمن هذا التعلم وجود منبهات مترابطة متتالية ، يتحسن الأداء من خلال التكرار " ويعتقد أن هذين النوعين من التعلم يحدث نتيجه أعصاب وسيطة بين الذاكرتين " ***(محمد رفقى عيس ، ١٩٨٧ : ١٤٧)***

وينبه علماء اللغةالعصبيين والنفسيين على أن احتفاظ المخ بالمعلومات يتوقف على عدة عوامل :

٣- الذاكرة والفهم:

يلعب الفهم دوراً بارزاً فى اكتساب اللغة بصفة عامة والذاكرة بصفة خاصة . فقد أثبتت أبحاث "ابنجهاوس" أن المرء يحتفظ ويتذكر الأشياء أو الجمل ذات المعنى ،وينسى وبسرعة الجمل غير المفهومة لديه .فالفهم هو عبارة " عن ترجمة المنظومات المسموعة إلى رموز عقلية " ***(فيل ن ،جونسون ،١٩٨٨: ٥٦)***

وحين تَحدَّث ابن خلدون عن الملكة اللسانية لم يغفل الفهم فقال : " الملكة لا تحدث إلا بالفهم" ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : ج٤/١٣٩٩)*** "والفهم لا يشمل مجرد التهام ما تيسر من المعلومات الجاهزة . وإنما يتم اكتسابهامن خلال إعاده اكتشافها أو هضمها ،وإعاده تمثيلها من خلال نشاط الفرد ذاته ....فاللغة ذات طبيعة خاصة كنظام يحوى مجموعة من القواعد يتم على أساسها الربط بين الأصوات والمعانى ،وأن الشخص الذى يدرك كل هذه الأنظمة .وما تحتويه . يمكن أن يفهم ما يقوله الناس ،ويقول ما يفهمه الناس " ***(فيل ن جونسون ،١٩٨٨: ٥٦)***

فالتواصل اللغوى يتم من خلال الفهم الذى يتوقف بدوره على القدرة المعرفية للفرد . ففقدان الذاكرة يؤدى إلى عدم التواصل مع المحيطين بنا ، ولهذا فالفهم والذاكرة وجهان لعمله واحده هى اكتساب اللغة " ***(محمدرفقى عيسى ، ١٩٨٧ : ١٤٧)***

إن كلمة الفهم هذه ذات مغزى كبير ؛ ففهم مانستمع إليه كرموز لا يتوقف على ربط الكلمة ومدلولها اللغوى فحسب ، بل على فهم السياق الذى يحدث فيه الموقف المستمع إليه ،فالعلاقة بين اللفظ ومدلوله علاقة ليست ثنائية الأبعاد ، بل علاقة ذات أبعاد متعددة..

فى هذا يقول الشاعر :

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن عجلاً بنطقك قبل ما تتفهم
لم تعط مع أذنيك نطقاً واحداً إلا لتسمع ضعف ما تتكلم.

"إن فهم اللغة المسموعة يتوقف على عدة أشياء أهمها ما اصطلح عليه باسم "اللغة الجانبيةPara language" وهى تتمثل فى معرفة الحالة المزاجية للمرسل،وانفعالاته وحركاته ،وطريقة نطقه ونبراته ،وهى لغة لابد وأن يتقنها المتعلم ، لأنها أساس فى فهم الرسالة، وقد اصطلح عليه فى تراث علم اللغة الاجتماعى باسم (Kinesics) وهو علم الحركة الجسمية أثناء قيام المرسل بالرسالة " ***(عبدو الراجحى ، ١٩٩٣ :٦٢)*** واصطلح عليه فى تراثنا العربى باسم ***"النَّصْبَة"*** " فهى تدل على حال الناطق بغير لفظ والمشير بغير يد ويعبر عن ذلك قولهم :رُبَّ طَرْفٍ أَفْصَحُ مِنْ أَلْفِ لِسَان" ***(ابن قتيبه ، ١٩٧٣ :جـ٥ / ١٨١)*** **يقول تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا .....﴾**

ويقول عز قوله على لسان الكافرين :

﴿ لوكنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ﴾ يفسره الإمام ابن حجر العسقلانى بقوله: " أى لو كنا

نسمع سمع من يعى ، ويفهم ويميز بالعقل ، ما كنا من أصحاب النار واهلها ، فالفهم فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن به من عمل أو فعل ***(ابن حجر العسقلانى ، ١٩٨٨ : ج١/ ١٩٩)***

ويقول الإمام الرازى : "هو تصور شيء من لفظ المخاطب ،والإفهام هو اتصال المعنى باللفظ إلى فهم السامع " ***(الإمام فخر الدين الرازى ، ١٩٩١ :جـ٢/٦٣٧)***

فإ ذا كان الفهم يتوقف على معرفة اللغة الجانبية ، فإن الانتباه يلعب دوراً أساسياً فى الفهم .

أ- الفهم والانتباه السمعى :

يلعب الفهم مع الانتباه السمعى دوراً أساسياً فى عملية اكتساب اللغة . وهذا ما أوضحته البحوث النفسية الفسيولوجية . فقد ثبت أن المعلومة من خلال الفهم مع الانتباه السمعى تنتقل من الذاكرة قصيرة الأمد إلى الذاكرة طويلة الأمد .

" وقد اثبت كل من ***بادلى ولويز وليفى Badelt y , Leuies &Livy*** أن اكتساب النحو يكون أحسن من خلال المدخل السمعى عند الانتباه الواعى***(Ellis Andraur &Beatticreoffery,1986 :226)***

ب- الفهم وبنية المعلومات :

تلعب بنية المعلومات المسموعة المفهومة دوراً أساسياً فى اكتساب اللغة " فالاحتفاظ بالحديث المشوش غير المنتبه إليه ، أو غير المفهوم ، أصعب من الاحتفاظ بالحديث المنتبه إليه ، أو المفهوم ، أو المشوق الأمر الذى يدعونا إلى الإدعاء بأن النصوص الأدبية والشعر بصفة خاصة هى القابلة للاستمرار " لأنها تفرض نفسها على الذاكرة"***(صلاح فضل : ١٩٩٤ : ٣٦)***

العامل الثانى من العوامل المؤدية لنمو الملكة اللسانية :

الحفظ والاستيعاب والتكرار :

يقول ابن خلدون فى عدة مواضع متفرقة فى المقدمة :

١-" ووجه التعليم لمن يبتغى هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلام العرب الجارى على أساليبهم من القرآن والحديث والشعر والنثر ..فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ... وعلى قدر المحفوظ وكثرته ،وكثرة الاستعمال تكون الملكة ...وهكذا يكون تعلمها ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٣٩٦)***

٢-" إن الملكة لا تحدث إلا بتكرر الأفعال ، لأن الفعل يقع أولاً ثم يتكرر ...ثم يزداد التكرار فتكون ملكة أى صفة راسخة " " الملكات تحصل بتتابع الفعل وتكراره " ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤/١٤٢٣)***

٣- " إن للسان ملكة من الملكات يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل " ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤/١٣٥٤)***

٤-" إنه لابد من كثرة المحفوظ لمن يروم تعلم اللسان العربى وعلى قدر جودة المحفوظ، وطبقته فى جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ وبارتقاء المحفوظ تكون جوده الملكة ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٤٢٣)***

هذا بعض ما قاله ابن خلدون عند حديثه عن الملكة ومقوماتها نجد أن بعض المصطلحات تتوالى بنفس مدلولاتها مثل ***(التكرار -الحفظ ، المحفوظ الحفظ.....)***

أى أن الملكة اللسانية عمادها وقوامها الحفظ والتكرار ،وسيتم توضيح هذه المقومات فى الأسطر التالية :

٣- الحفظ:

لقد عرفه العرب الأقدمون ، حين وضعوا أيدى تلاميذهم على مقومات العربية ، وخصائصها ، وأسرار ها البيانية عن طريق حفظ النصوص ،وفهمها ، مما جعلهم يتمثلونها تمثلاً جيداً ، فظهر فى لسانهم أثر ذلك ،حتى ظن البعض أنهم ينطقون بالجبلة أو الطبع ،وإنما جاءهم ذلك من التعود .

ويؤكد علماء النفس أن هناك عوامل تؤثر فى الحفظ

يؤكد علماء النفس على أن هناك عوامل تؤثر في الحفظ هى: ***(عبد السلام عبد الغفار ،١٩٩١: ٢٨٢-٢٨٧)***

١- **التكرار** : فتكرار ممارسة ما نتعلمه بعد أن يتم لناوعيه وفهمه يؤدى إلى زيادة تذكرنا له .

٢- **الاتجاهات** : الاتجاه عامل هام وأساسى يؤثر فيما نحفظ أو نتذكر ، فالتكرار لايؤدى نتائج مثمرة مالم يوجد اتجاه ايجابى نحو ما يتم حفظه ، فما نحفظه تحت ضغط الامتحان ونحن غير راغبين فيه -اتجاه سلبى - غالباً ما ننساه بمجرد انتهاء الامتحان والعكس صحيح .

٣- **ارتباط الماده بالتنظيم الدافعى للفرد :**

يعتبر وجود علاقة أو ارتباط بين حاجات الفرد وميوله ، وقيمة المادة التى يتعلمها من العوامل الهامه التى تزيد قدرة الفرد على حفظها ، وتذكرها . فمن له ميول نحو ماده الشعر فهو ينظم طريقة حفظه لها ، ومن ثم يسهل عليه تذكرها تبعاً لتنظيمه لها عند الحفظ .

٤- **توزيع الممارسة** : فهى من العوامل المؤثره على الحفظ والتذكر .

٥- **طول المادة ودرجة تعقيدها** :وهى من العوامل المؤثرة على الحفظ والتذكر ، فكلما كانت المادة سهلة كلما كان تذكرها أيسر والعكس صحيح .

٢- الحفظ والتربية الحديثة :

تختلف نظرة المربين لموضوع الحفظ بين مؤيد وشاك فى جدواه . فيرى مؤيدو الحفظ إن حفظ النصوص من قِبَل التلاميذ أمر ضرورى ، حتى يحسن الطلاب إنشاء الكلام البليغ والنطق السليم ،والأداء الجيد ،ويرون أن الحفظ يؤدى إلى تكوين الذوق الأدبى ،وصقل موهبة الموهبين .ويرون أن هروب التلاميذ من حفظ النصوص راجع الى :

١- سوء اختيار هذه النصوص ٢- جفاف وسوء طرق تدريس النصوص.

ولهذا طالب أصحاب هذه النزعة بضرورة ترك الحرية للطلاب فى حفظ ما يودون حفظه ، على أن يتبع ذلك تجلية ما فى النص من ألوان الجمال والتراكيب اللغوية التى تعين على فهم وحفظ النص الأدبى ، إذ ينبغى أن نبين للطلاب أن كثيراً من الشعراء والكُتَّاب ،كانوا يتميزون بحافظة قوية لعيون الشعر وأحسنه ***(عبد الله الخثران ، ١٤٠٥ : ٢٥٤)***

أما الفريق الأخر المشكك فى أهمية الحفظ فى عصرنا الحاضر فإنه يرفضه لتوفر وسائل النشر والطباعة ؛ مما يغنينا عن الالتجاء للحفظ ،وذلك عن طريق القراءة والاستماع ،وهذا غير موجود فى العصور السابقة ؛ لقلة وسائل النشر والكتابة ، فنظروا للحفظ كأنه من العمليات العقلية الوضيعه وقد غاب عن هؤلاء الرافضين لمبدأ الحفظ أن الإنسان فى مواقفه الحياتيه يحتاج إلى الاستشهاد بآى الذكر الحكيم ،والحديث النبوى الشريف ،والشعر البليغ ، بل إن قيمة الإنسان فى المنتديات ،والمجالس تظهر بمقدار ما يستحضره من هذه النصوص التى يعيها ويحفظها . ثم إن فى ترك الحفظ تعطيلاً لهذه الطاقة الكبيرة " فعزوف طلابنا عن الحفظ

أدى بهم إلى أن يكونوا خالى الوفاض لا يستطيعون نطقاً صحيحاً ولا كتابه جيدة" *(عبد القادر أحمد ، د ت :١٢٩)*

وفى اذدراء الذاكرة والحفظ والنظر إليها هذه النظرة مخالفة صريحة للحقائق النفسية التى تدل على أن فقدان الذاكرة يؤدى إلى اضطراب الحياه العقلية وفساد السلوك " *(إ.ر دماسيو،١٩٩٤: ٥١)*

" إن الحفظ والتذكر يلعبان دوراً هاماً فى تعليم اللغة ،وخصوصاً عند الكتابه التى تعتمد على تعبيرات مأخوذة -مقتبسه من الآخرين- Aphraseological Approach" وفى هذا يقول بلونجز: "من لم يستطع حفظ آلاف أو مئات من الجمل لا يعرف اللغة "*(Haurth peter , 1993 : 58)*

٢- المحاكاة :

تلعب المحاكاة دوراً أساسياً فى تعليم الملكة اللسانية واكتسابها " فهى تمثل الأساليب المهمة التى يستعملها الطفل عند اكتساب اللغة "*(دوجلاس .هـ براون ، ١٩٩٤: ٥٩)*

وأوضحت الدراسات أن ترديد المسموع أسلوب واضح ومميز فى تعليم اللغة ،وجانب مهم فى اكتسابها،" والمحاكاة المقصودة هى المبنية على الفهم من جانب المتعلم" *(دوجلاس .هـ براون ، ١٩٩٤: ٦٢)*

فالمحاكاة إحدى الوسائل لاستيعاب اللغة واكتسابها ،وهى تعرف فى الدراسات اللغوية الخاصة باكتساب اللغة " بالمدخلات اللغوية المتكررة " Frequency of Linguistic Input" ويقصد بالمحاكاة التكرار المفيد ذو المعنى " ،ويعرفه أخرون بأنه " التدعيم السمعى *(دوجلاس هـ . براون ،١٩٩٤ : ٥٩)*

ومهما يكن فإن استخدامنا للغة سواء أكان ذلك بطريقة كتابية أو شفاهية فهناك ثلاثة عوامل تحكمه :

١- المعنى : Meaning

حيث يتم اختيار الجمل لتوصيل معنى معين

٢- التنظيم الاجتماعى : Social Organizaition

مثل الطبقة أو المركز الخاص بالمنْتِج للحدث اللغوى أو الموقف الذى يتحدث فيه ، وهذا العامل ذو تأثير كبير فى استخدام اللغة .

٣- المتغيرات المتعلقة بالمنتج داخل اللغة :

سواء أكانت متعلقة ومحدده بالطبقة الاجتماعية أو مهارة الفرد اللغوية التعبيرية *(عبد الله خميس ، ١٩٨٥: ١٤ -١٥)*

والمحاكاه تؤدى -إذا استخدمت وتُعُلِّمت بصورة صحيحة -إلى الصواب اللغوى ، فاللغة فى عُرْف ابن خلدون نسق اجتماعى "إذهو فى كل أمه بحسب اصطلاحهم والصواب اللغوى هو" الكلام المُتَّفَق عليه ، والمُتَّفِق مع عُرْف اللغة للجماعة التى ينتمى إليها المتحدث"*(إبراهيم الدسوقى عبد العزيز، ١٩٨٣ : ١٨- ٢٠)*

فالمحاكاة أو الصحة اللغوية لا تتم إلا بشرطين :

(١) الاتفاق على ما يتطلبه العرف اللغوى :

ويعنى به استعمال اللغة وفق القواعد المتعارف عليها وهى القواعد الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية التى تلتزمها الجماعة اللغوية.

(٢) الاتفاق مع ما يتطلبه عرف الجماعة :

ويعنى به مراعاة المقام ومقتضى الحال ،واستخدام اللغة استخداماً مناسباً فى نفس الوقت . وعُرْف الجماعة هو " **الأصول السلوكية التى ينبغى مراعاتها كما ارتضاها المجتمع ... وهى ليست من صُنْعِ أحد، وإنما هى موروثات تكونت على مر السنين ،وارتضاها أفراد الجماعة عامة ، وخضعوا لها، وحرصوا على مراعتها .**

-ولهذا كان لابد أن نقول : إن الصواب اللغوى الناتج عن المحاكاة له وجهان متلازمان لا يمكن الفصل بينهما وهما :

أ- الشق النحوى :

وهو الذى يراعى فيه عنصر الوضوح الذى تسد الحاجه اللغوية ،أو المعنى الوظيفى" فبه تفهم مقاصد الدلالة "

ب- الشق الاجتماعى :

وهو الذى يراعى فيه عنصر المطابقة الذى يسد الحاجة الاجتماعية ، أو المعنى الاجتماعى ***(إبراهيم دسوقى عبد العزيز ، ١٩٨٣ : ٢١-٢٢)***

تاسعاً : اكتساب اللغة :(*)

تعود أبحاث اكتساب اللغة إلى نهاية القرن الثامن عشر على يد المفكر الألمانى ***"ديترش تيدمان" "Tiedman"*** حينما سجل ملاحظاته النفسية واللغوية علي ابنه الصغير .. ولم تشهد فترة القرن والنصف التي تلت ذلك التاريخ أي تقدم يذكر في دراسة اكتساب اللغة وأغلب الأعمال التي تمت في هذه الفترة لم تكن أكثر من تدوين بعض الملاحظات اللغوية التي كُتِبَتْ علي شكل مذكرات اشتملت علي محاولة لتصنيف بعض الكلمات المستعملة . وكانت البداية الحقيقية الجادة

(*) خصصت مجلة العلوم الامريكية عدداً بعنوان : العقل والدماغ واللغة .. الكويت (المجلد ١٠ العدد ٥ يونيو ١٩٩٤) خصصته لموضوع اللغة وذلك دليل علي اهتمام الدوائر العلمية الآن بعملية اكتساب اللغة .

للبحوث العلمية في هذا الصدد في النصف الثاني من هذا القرن حيث بدأ الباحثون بتحليل لغة الطفل بطريقة منظمة ، في محاولة لاكتشاف طبيعة العملية النفسية واللغوية التي تمكن الإنسان من التحكم في هذا النظام المعقد من الاتصال . وخلال العقود الماضية تم تحقيق إنجازات كبيرة في هذا المجال ، خاصة بما يتعلق بالنماذج المعرفية والتوليدية للغة .

وهناك اليوم مئات من اللغويين وعلماء النفس يدرسون الجوانب اللغوية والنفسية والاجتماعية لاكتساب اللغة الأم *(براون،هـ،دوجلاس، ١٩٩٤ : ٣٣)*

اكتساب اللغة من منظور علم النفس الحديث ومدارسه :

الاتجاه السلوكى :

ينظر علماء النفس السلوكيين إلى أن اللغة جزء أساسى من السلوك البشرى *(Mc Dough 1983: 69 ,)* فهى استجابات يتعلمها الطفل رداً على مثيرات تأخذ شكل سلوك ضمن إطار التعلم ونظرياته ، وليس هناك فرق بين تعلم اللغة ، وأى نوع أخر من التعلم *(ميشال زكريا ،١٩٨٣ : ١٢٩ – ١٣٠)* وقد حاول *واطسون* " Watson " تفسير السلوك اللفظى كبقية السلوك فى ضوء تكوين العادات ؛ لأنها تنتج من التعزيز الموجب *(جورج إم غازدلوكورسينى ، ١٩٨٣ : ٢٧)*

التعزيز الموجب :

يلعب التعزيز دوراً أساسياً فى تعلم اللغة عند السلوكيين وكذلك البيئة " ويؤكد السلوكيون على أن الطفل حين يتعلم القواعد ، ويكتسبها من خلال الألفاظ ، فهو يتعلمها فى ضوء مبدأ الاقتران *(إبراهيم وجيه ، ١٩٩٤ ، ٢١٥)* ولهذا فهو يتعلم القواعد النحوية حين يتعلم الترتيب الصحيح للكلمات داخل الجملة *(ميشال زكريا ، ١٩٨٦ : ٥١)* .

إن فهم الجمل الجديدة عند الطفل يتم عن طريق مبدأ التعميم.

وكذلك فَهْم الكلمات الجديدة يتم عن طريق التعميم الآتى من مبدأى التماثل والتشابه . فالتماثل والتشابه بين الأشياء الطبيعية والعلاقات بينهما له دور أساسى فى عملية تعميم المعانى التى سبق للطفل أن اكتشفها على أشياء متقاربة .

وقد اوضح *سكنر Skinner* أن بنية اللغة التركيبية لا تظهر فى فراغ ، وأن للبيئة دوراً كبيراً ، وأن عبارات الطفل لا يمكن ملاحظاتها من عدة أوجه .

(أ) أن المحيط الإنسانى الذى يتصل بالطفل ينقل –عادة – اللغة التى يكتسبها الطفل ، ويجسد نظام القواعد الخاص بالجماعة اللغوية

(ب) أن دور المحيط اللغوى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعوامل غير لغوية ذات صلة بالتطور الاجتماعى والانفعالى الذى تظهر أهميته بوضوح من خلال الاضطرابات للتطور اللفظى .

(جـ)أن الطفل ينمو فى بيئة طبيعية واجتماعية لا تنفصل اللغة عنها ؛ لأن اللغة تعود فى مظاهرها الدلالية إلى البيئة بالضرورة *(مارك ريشل ، ١٩٨٤ : ١١٤)* السلوكيون إذن يهتمون بالبيئة الاجتماعية ، وبالبيئة اللغوية وكذلك بالتعزيز والاقتران والتكرار والتعميم فى عملية اكتساب اللغة

٢ – ***علماء النفس المعرفيين*** *Cognitivisme*

ويقصد بهم من ينتمون إلى علم النفس المعرفى . وهؤلاء العلماء المعرفيون يذهبون إلى أهمية الإدراك والتمييز والتصنيف والتجريد ، والاستدلال فى عملية اكتساب اللغة . وهذه العمليات السابقة هى أساس العمليات المعرفية فى اكتساب التعلم مهما كان نوعه .

وعلى الرغم من اتفاقهم فى هذه العمليات المعرفية ، إلا أن أولوية كل عملية فيها تختلف من منظر لأخر ، لذلك ضمن ثلاثة اتجاهات تعكس وجهات النظر المعرفية :

الاتجاه الأول :

يتزعم هذا الاتجاه "***جان بياجية***" حيث يرى أن الجوانب المعرفية تسبق التطور اللغوى ، الذى لا يمثل إلا مظهراً من مظاهر الوظيفة الرمزية .

فقد شرح بياجية نمو الطفل لغوياً على أنه نتيجه تفاعل بين بيئته وخبرته اللغوية ، ونمو القدرة الإدراكية .

فنمو الجوانب المعرفية دائماً تَسْبق النمو اللغوى ، فتعلمه اللغة يتوقف على قدراته العقلية ، وإدراكه للعالم حوله ، ويؤيد هذا الرأى أبحاث ***دان سلوبين*** " *Danslobin* " من خلال أبحاث ***جلتمان ووتر*** *Wanner& Gleitman* . فالكفاءة اللغوية لا تكتسب إلا بناء على تنظيمات داخلية تبدأ أولية ثم يعاد تنظيمها بناءً على تفاعل الطفل مع البيئة الخارجية *(Douglas , 1986 : 23)*

الاتجاه الثانى :

يتمثل فى وجود تفاعل بين الجانب المعرفى والجانب اللغوى وتزعم هذا الاتجاه أبحاث ***سنكلردى زورات*** . *H.Sinclar Dzwart* التى تؤكد على أن اللغة لا تولد العملية العقلية ، بل إن العملية العقلية هى التى تولد اللغة ، بل وتسمح باستغلال اللغة بكل إمكانياتها ويؤكد ' بيرسون Bresson' على أن الأشكال اللغوية تكتسب مبكراً جداً ، غير أن شروط عملها لا تتم ببطء . وذلك بموازاة تطور العمليات المعرفية التى تحكم النظام اللغوى *(مارك ريشل ، ١٩٨٦ : ١٦٧-١٦٩)*

الاتجاه الثالث :

ويرى أصحابه أنه لا يمكن الفصل بين الجوانب المعرفية ، والجوانب اللغوية فى عملية اكتساب اللغة وتعلمها . ويدعم هذا الجانب ***برونر*** *Bruner* ويعطى المعرفيون أهمية بالغة للفهم فى

تعلم اللغة ، فالفهم عندهم شيء ضروري ، فبدونه لا يمكن فهم التراكيب اللغوية . فالفهم شيء ضروري عند النظر فى اكتساب اللغة .

والجانب الاجتماعى عند المعرفيين يلعب دوراً خطيراً وضرورياً عند اكتساب اللغة . فلابد من اكتساب قدرات اخرى تتمثل فى القدرة على التواصل الاجتماعي وفق عرف المجتمع ***(نايف خرما وعلي حجاج ، ١٩٨٨: ٦٤)***

بناءً على ما سبق يمكننا القول : إن المعرفيين يولون اهتماماً كبيراً للفهم والبيئة ، فبدون الفهم والبيئة لن يحدث تعلم او اكتساب للغة ذلك بالإضافة إلى اهتمامهم الكبير بالذكاء فالذكاء والقدرة اللغوية مسميان لشيء واحد ***(دوجلاس هـ برون ،١٩٩٤: ١٣٢)***

٣- *الإجتماعيون* ***Social learning theory***

إن نظرية التعلم الاجتماعى كما يدل عليها اسمها تبحث فى سلوك الأفراد وتعلمهم من خلال المواقف الاجتماعية ، فالتعلم وفق هذه النظرية يحدث فى بيئة مليئة بالمعانى ، والتعلم كذلك يكتسب من خلال التفاعل مع أفراد المجتمع الآخرين .

يقول ***جوليان روتر*** ***Julean B. Rotter***: إنها نظرية تعلم ؛ لأنها تؤكد على حقيقة مؤداها : **أن أشكال السلوك الرئيسية ، أو الأساسية يجرى تَعلُّمها فى المواقف الاجتماعية ، وهى تلتحم بصورة لافكاك فيها مع الحاجات التى يتطلب إرضاؤها توسط أفراد آخرين .**

٤- *الفطريون* ***Nativist Approach***

يرى الفطريون أن الطفل يولد وهو مزود فى تكوينه الفطرى - البيولوجى - بآلية أطلق عليها ***تشومسكى*** آلية اكتساب اللغة ***(L.A.D Langauge Acquisition Device)***، وهو عبارة عن ميكانيزم افتراضى داخلى يمكن الأطفال من السيطرة على الإشارات القادمة ، وإعطائها معنى ، ويمكنهم من الاستجابة . وهذه الملكة موجودة عند كل إنسان ***(جمعة السيد يوسف ،١٩٩٠: ٤٩)***

" فالطفل إذا ما اتقن القواعد التى تتحكم فى بناء لغته ، فإنه يظهر نوعاً من الإبداع فى استخدامه للغة . وفهم تلفظات الآخرين ، حتى وإن كانت جديدة عليه " ***(جمعة السيد يوسف ،١٩٩٠: ١٢٠)***

" إن استخدام اللغة يختزن نظاماً للقواعد يربط الصوت والمعنى بطريقة معينة ، وعلى أساس هذا الجهاز (L.A.D) يتم الاستخدام الفعلى للغة بواسطة المتحدث / المستمع " . ***(جوديث جرين ، ١٩٩٠ : ١٨٤)***.

ومن الملاحظ أن الفطريين على عداء تام مع السلوكيين ، يتضح ذلك من هجوم تشومسكى ومناظرته لسكنر فى بدايات كتاباته ..

(*)الفطريون Nativism : أولئك الذين يعتقدون أن السلوك موجه فى الغالب من خلال ما تفرضه بعض المعطيات البيولوجية . وهم مصرون على أن هناك شيئاً يطلق عليه الطبيعة الإنسانية . وهذه المعطيات البيولوجية بمثابة الأساس الغزيزى التفكير والنشاط ،ولا يشعر هؤلاء الفطريون بالحيرة أمام الفروق الفردية الموجودة بين الكائنات البشرية لإمكان إرجاع هذه الفروق إلى الوراثه .نقلاً عن:

(دين كيث سايمنتن، ١٩٩٣ :٤٩).

ويعتمد الفطريون فى حديثهم عن اكتساب اللغة على ذلك الجهاز الفطرى ، فهم يقولون : إنه موجود لدى كل طفل وليد ، والدليل على ذلك أن الطفل يستجيب لتعامل المحيطين معه دون أن يتعلم اللغة وقواعدها.إن الطفل يتعلم اللغة لامن خلال الألفاظ المفردة ، وإنما على هيئة نظام متكامل متداخل " As Integrated system " وهذا ما يؤكده جين بركو Gean Berko ' *(Douglas HBRAUN, 1986 : 21)*

يقول ***تشومسكى*** : إن الطفل يملك قدرات فطرية تساعده على تقبل المعلومات اللغوية، وعلى تكوين البنية اللغوية خلالها . فهو مهيأ بطريقة لا شعورية لأن يُكَوِّن قواعد لغته إذ يملك الطفل بالفطرة مجموعة

من فرضيات مجردة ، يطبقها على المعطيات اللغوية التى يتعرض لها ، ويملك أيضاً بالفطرة أشكالاً مجردة لقواعد يمكنه امتلاكها عبر استيعابه معطيات لغته . فهو قادر بصورة لا شعورية على أن يصوغ عدداً غير محددٍ من الفرضيات التى تنص على كيفية إنتاج الجمل وتفهمها من الأخرين ***(ميشال زكريا ، ١٩٨٦: ١٣٥)***

والفطريون دائماً يستشهدون بمقولة القديس أوغسطس التى يقول فيها :(*) إننى لم أتعلم الكلام من خلال التدريبات اللغوية التى تَفَضَّل بها من هم أكبر منى سناً . ولكنى تعلمت الكلام بفضل الصراخ وما يصاحبه من أنغام صوتية تواكبها تلك الحركات المختلفة التى تصدر منى لأعبر بها عن قصدى ، وأحصل بها على الشيء الذى أريده .

لم أقتصر على هذه الكلمات الغفل التى تصدر منى ، ولا على الحركات العشوائية التى تعبر بها رجلى وقدمى . بل بدأت الدلالات الكامنة وراء هذه الكلمات . عندما تحركت هذه الكلمات فى فمى استطعت أن أتبادل مع من حولى أطراف الحديث ***(سيد صبحى ، ١٩٧٩: ٤٥)***

وهناك ترجمة أخرى لمقولة ***القديس أوجستين*** ***St.Augastin*** يقول فيها :

" فلم أعد ذلك الطفل الصغير العاجز عن الكلام، بل شاب يافع يستطيع الحديث ، وأتذكر ذلك تماماً ، لأننى كنت دوماً ألاحظ كيفية تعلمى للكلام ولم يكن ذلك لأن من يكبرنى سناً علمونى الكلمات ... بأى طريقة من الطرق ولكن لأننى ، ومن خلال الصيحات التى أطلقها ، مختلف الأخطاء اللغوية التى أقع فيها ومن خلال مختلف الحركات لأعضاء النطق والتعبير عن أفكارى ، وعن إرادتى وفشلى فى ذلك أحياناً ، وكذلك من خلال الفهم الذى منحنى الله إياه ، وكذلك عن طريق سماع الكلمات التى تأتى فى جمل مختلفة استطعت أن أجمع المعنى بصفة تدريجية ، وأحاول الصياغة مرة أخرى وأتلفظ بما أريد . ومن ثم تبادلت

(*) نقل الباحث الترجمتين ، لأنه راى أن كلا الترجمتين تكملان بعضهما البعض .

مع من حولى قول وسماع ما نريد ، وانطلقت إلى ميادين أعمق من الاتصال اللغوى فى الحياة الانساسية *(دوجلاس هـ براون ،١٩٩٤ : ٤٢-٤٣)(سيد صبحي ، ١٩٧٩ : ٤٥)*

٥- مذهب التعلم بالملاحظة

يرى أصحاب هذا المذهب أن اكتساب اللغة يأتى من خلال ملاحظة الآخرين فى المجتمع ، ولهذا فللمجتمع دور كبير فى تعلم اللغة . إذا ما اعتبرها هؤلاء نماذج تعليمية *(نايف خرما وعلى حجاج، ١٩٨٨ :٦٤)*

إن التعلم بالملاحظة يعتمد اعتماداً كلياً على المحاكاة معتمدين على مقولة أرسطو " إن التقليد قد يزرع فى الإنسان منذ الطفولة .. فمن خلال المحاكاة يتعلم الإنسان أول دروسه *(جورج إم غازداو كورسينى ،١٩٨٦ : ١٤٩)*

والمحاكاة عندهم تعتمد على التعزيز ، والملاحظة " وقد حدد ***باندورا : Bandura*** أن الملاحظة هى المصدر الرئيسى للتعلم فى الثقافة المعاصرة .. وقد اعتمد على ثلاث عمليات لتفسير الحدث التعلمى :

١- الانتباه ٢- الاحتفاظ ٣- الدافعية .

" إن الفشل فى التعلم بالملاحظة يكمن فى نقص جزء أو أكثر من هذه الأجزاء ، التى يحكم منها مبادىء مختلفة *(جورج إم غازداو كورسينى ،١٩٨٦ : ١٤٩)* وأصحاب هذا المذهب يولون الحفظ والانتباه قدراً كبيراً جداً من الاهتمام . فالحفظ يعتمد على المحاكاة . وهو فى نفس الوقت يعتمد على الانتباه ولاسيما الانتباه الانتقائى القائم على الدافعية .والانتباة الانتقائى - كأحد محددات عملية الانتباة - يتوقف على عاملين مهمين هما :

١- خصائص النموذج الملاحظ . ٢- خصائص الفرد الملاحظ .

ولا يغفل أصحاب هذا المذهب عاملى النمو ، والاستعداد عند اكتساب الغة أو التعلم بصفة عامة ." *(جورج إم غازداو كورسينى ، ١٩٨٦ : ١٧٩)*

تعقيب عام: ***مما سبق يمكن الخروج بما يلى :***

١- أن مذهب التعلم بالملاحظة يندرج تحت النظريات السلوكية لأنها تقوم على - التقليد والمحاكاة والتعزيز (انظر مبادىء هذه النظرية فى **جورج إم غازداو كورسينى،١٩٨٦ : ١٤٣-٢٠٢)**

٢- أن الملاحظة لا تترك أثراً إلا إذا استجاب لها الفرد ، فالفرد يستجيب للمثير والسلوكية تقوم على مبدأى المثير والاستجابة .

٣-الفطريون يميلون إلى النواحى العقلية فى عملية اكتساب اللغة ، ويشاركهم فى هذا أصحاب مذهب التعلم بالملاحظة ؛ حيث يولى أصحاب هذا المذهب اهتماماً كبيراً بالفهم والإدراك .

٤- اختلفت مدارس علم النفس فى نظرتها لاكتساب اللغة . وهذا الاختلاف يثرى دراسة اكتساب اللغة - فبضدها تتبين الأشياء -فإذا كانت السلوكية تركز على البيئة والتعزيز فإن التعلم لا يتم إلا بالفهم الذى ركزت عليه المدرسة المعرفية . والفهم يؤدى إلى الاستبصار الذى ركزت عليه المدرسة الجشطلتية . وكل ما سبق إنما يتم فى بيئة اجتماعية - تتميز بالعرف اللغوى الموحد . فاكتساب اللغة من أهم محددات التطبيع الاجتماعى - وهذا ما ركزت عليه مدرسة التعلم الاجتماعى . فمن هذا المجتمع يلاحظ الطفل الرموز اللغوية مسموعة ومكتوبة فى كل موقف تعلمى لغوى . ومن هذه الملاحظة يكتسب الطفل اللغة وهذا ما ركزت عليه مدرسة التعلم بالملاحظة .

إذن عملية اكتساب اللغة وفق منظور مدارس علم النفس قد اختلفت(*) وهذا الاختلاف راجع إلى :

١- اختلاف الرؤى والمنطلقات الفكرية التنظيرية لدى أصحاب كل مدرسة .

٢- أن اللغة لم تكن محور اهتمام أصيل لدى أصحاب هذه المدارس والمذاهب . وإنما جاء التعرض لها عرضاً وفى حدود الإطار العام للاتجاه . حتى لمن اهتم باللغة من أمثال سكنر (السلوكى)، وتشومسكى(العقلانى الفطرى).

- أن معظم هؤلاء المنظرين حاولوا تقديم " نظرية شاملة وموحدة للسلوك الإنسانى " ***(على عبد العظيم سلام ، ١٩٩٥ : ٢٣٥)*** ، فتشومسكى وإن لم يكن من علماء النفس إلا أنه حاول تقديم نظرية مناهضة لأكبر مدارس علم النفس شيوعاً ثم حاول تقديم وإيجاد نظرية عالمية للنحو ، أو نظرية عالمية للغة " Uneversal langauge or Universal Grammar "

ب- اكتساب اللغة وتعلمها بين ابن خلدون ومدارس علم النفس

من الاستعراض السابق لمدارس علم النفس المهتمة باكتساب اللغة وجد أنها تتحزب فى ثلاثة اتجاهات : **١- السلوكية** **٢- المعرفية** **٣- الفطرية**

وعند استعراض البحث لهذه الاتجاهات الثلاثة لم يذكر شيئ عن ابن خلدون أساس البحث ومداره ،والباحث لم يقحم ابن خلدون وسط هذه الاتجاهات الثلاثة لما يلى :

١- أن هذه الاتجاهات السيكولوجية نتاج العصر الحديث

٢- أن المصطلحات التى وردت على ألسنة منظرى هذه المدراس أو الاتجاهات نتاج العصر الحديث .

٣- اختلاف الرؤى والمنطلقات التنظيرية لدى كل من ابن خلدون ومعتنقى الاتجاهات السيكولوجية السابقة .

(*)وإن أدى هذا الاختلاف إلى تكامل الرؤى بتجميع مبادىء مدارس علم النفس المختلفة،فاكتساب اللغة يتم من خلال استجابة لمثير يعزز ، هذه الاستجابة جاءت نتيجة فهم وإدراك فطرى لرموز وبنى لغوية ملحوظة فى بيئة اجتماعية يعيش فيها الفرد .

لكل ما سبق رأى الباحث ضرورة استعراض المفاهيم السيكولوجية التى وردت على ***لسان ابن خلدون*** عند حديثه عن تعلم اللغة واكتسابها . وسنلاحظ بعض الاختلافات نتيجه لاختلاف المنطلق الفكرى لابن خلدون وعلماء النفس المعاصرين ، **ولكن بقليل من التروى والتدقيق يمكن معرفة نقاط التّماس بين هذه الاتجاهات السيكولوجية وابن خلدون** " فلدى ابن خلدون نظرية فى التعلم " ***(لويس كامل مليكة ، ١٩٨٦: ٣٣)*** .

١- التكرار والممارسة :

اعتمد ابن خلدون عند تناوله لقضية اكتساب اللغة (اكتساب الملكة اللسانية) على هذا القانون السيكولوجى الذى نجد صدى حروفه لدى السلوكيين ... فقد ورد لدى السلوكيين ، ولكن مع اختلاف فى الرؤية .

يرى ابن خلدون أن الملكة تحدث بالتكرار ، ثم يزيد التكرار اللغة كذلك تكتسب بالممارسة والارتياض لكلام العرب شعره ونثره "***(ابن خلدون ،١٩٦٨ : جـ٤/ ١١٤١)***.

أما السلوكيون فيرون "أن الممارسة والتكرار تتوقف على الأثر الناتج عن الممارسة ، فكلما كان الأثر طيباً أدى ذلك إلى زيادة الممارسة والعكس صحيح ***(جورج إم غازدا وكورسينى، ١٩٨٣: ٩٤)*** وعدم الممارسة عند السلوكيين تؤدى إلى النسيان أو الانطفاء بتعبير **بافلوف**Pavlove،**والكف** بتعبير **هَـلْ** Hull. أما التكرار عند ***ابن خلدون*** - مع التدرج - قد يتيح فرصة لرؤية تفاصيل جديدة ،أو اكتشاف طرق جديدة ، أو علاقات بين المفاهيم المقدمة .

٢- التعزيز :

للتعزيز دور بارز فى العملية التعليمية على وجه العموم ، والتعزيز عند السلوكيين إما أن يكون بالسلب أو بالإيجاب ، والأرجح والأفضل الموجب لأثره الجيد . هذه الرؤية نجدها عند ابن خلدون عندما قال :" من كان مرباه بالعسف والقهر فقد سطا عليه الكذب ، وذهب بنشاطه ، ودعاه إلى الكسل ".***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ ، جـ٤ : ١٣٦٣)***

نلمح من كلام ابن خلدون أنه يرفض الإفراط فى العقاب البدنى لأن هذا قد يؤدى بالمتعلم إلى عواقب غير محمودة . وفى نفس الوقت يطالب بالملاينة ، والرفق بالمتعلم .

فدعوة ابن خلدون فى الحالة الأولى تسمى باصطلاح السلوكين التعزيز الموجب ، وفى الحالة الثانية (وصية الرشيد) التعزيز السالب . وإن كان يفضل التعزيز الموجب عند السلوكيين .

٣- الدافعية :

يلعب اصطلاح الدافعية دوراً كبيراً فى النظرية السلوكية فالدافعية عند ***سكنر*** ***Skinner*** تزيد من جودة الممارسة . وهنا نجد ابن خلدون يسبق السلوكيين فيما ذهبوا إليه بخصوص عامل الدافعية فى التعلم عموماً وتعلم اللغة خصوصاً . يقول ابن خلدون :

" وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذى أدركنا يجهلون طرق التعليم ، وإفادته ويحضرون المتعلم فى أول تعلمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه فى حَلّه، ويحسبونه مراناً على التعلم . وصواباً فيه ، ويكلفونه وعى ذلك وتحصيله ***(ابن خلدون جـ٤/١٣٥٣)*** ، ثم يعقب قائلاً : لا ينبغى على المعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذى أكب على التعلم منه إلا بحسب طاقته ، وعلى نسبة قبوله التعليم مبتدئاً كان أو منتهياً ***(ابن خلدون،١٩٦٨ : جـ٤ /١٣٥٤)*** ومفهوم الدافعية يؤدى بنا إلى مفهوم أخر هو الاستعداد ..

٤- الاستعداد :

يقول ابن خلدون : " اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً ، وقليلاً قليلاً ويراعى استعداد المتعلم لقبول ما يرد عليه ،حتى ينتهى إلى أخر هذا الفن (أى العِلْم) .***(ابن خلدون ،١٩٦٨ : جـ٤ / ١٤٥٣)***

إن الاستعداد بالمعنى الخلدونى كما يفهمه الباحث عبارة عن "مجموع استجابات الفرد وما لديه من قدرات فى لحظة معينة ، ويتوقف على النضج الجسمى والعقلى ، وعلى ما تعلمه الفرد من استجابات من قَبْل ويحدد الاستعداد الأهداف التى يختارها الفرد".

أما الاستعداد عند السلوكين فهو قانون " للتكيف التأهبى " وليس قانوناً للنمو العقلى والجسمى والانفعالى لتقبل مايراد تعلمه ، وإنما هو يعبر عن حالة الضيق التى لا تلائم الممارسة عند الفرد ، أوحالة الفرح والإشباع المؤدى إلى الممارسة" ***(جابرعبد الحميد ، ١٩٨٣ : ٩٤)***

ونلمح صدى هذا المدلول بين سطور ابن خلدون- السابق على السلوكيين بقرون كثيرة-

يقول ابن خلدون :" إن قبول العلم والاستعداد لفهمه ينشأ تدريجياً ، ويكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا فى الأقل . وعلى سبيل التقريب والإجمال ، وبالأمثلة الحسية ... ثم لايزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً بمخالفة مسائل العلم والانتقال من التقريب للاستيعاب.. حتى تتم الملكة فى الاستعداد ثم التحصيل ... وإذا أُلْقِيَتْ عليه الغايات فى البدايات حسب ذلك من صعوبة العِلْم فى نفسه ، وتكاسل عنه ، وانحرف عن قبوله ، وتمادى فى هجرانه ***(ابن خلدون ،١٩٦٨ : جـ٤ /١٤٥٣-١٣٥٤)***

نلمح مما سبق أن ابن خلدون تقدم على السلوكيين فى مراعاه تنظيم الموقف أو المادة التعليمية ، فالاستعداد الجيد يتطلب تنظيماً جيداً للمادة . هذا التنظيم أجوده أن يأتى متدرجاً من

خلال الأمثلة الحسية ، بالإضافة إلى أنه سبق ***برونروأزبل*** ***Brounar&Ausbel*** اللذين اهتما بالخبرة السابقة – وتنظيم الموقف التعليمى على أساسها – فى الاكتساب والتعلم نلحظ ذلك فى كلام ابن خلدون حين يقول :" إذا كان أوائل العلم وأواخره حاضرة عند المتعلم كان تعلم الملكة (العلم أو اللغة) والحصول عليها أيسر وأحكم ارتباطاً ،لأن الفعل إذا تنوسى تنوسيت الملكة ***(ابن خلدون ،١٩٦٨ :جـ٤ / ١٣٥٤)***

اذن ابن خلدون يسبق علماء النفس السلوكيين المنظرين والمعرفيين المهتمين بنظريات التعلم (*) كأوزبل وبرونر .

٥- الإدراك والانتباه :

يلعب الإدراك والاستبصار دوراً بارزاً فى نظرية الجشطلت ،فالإدراك الواعى المنتبه يؤدى بالمتعلم إلى الاستبصار ، فيعينه على فهم نقاط لم تكن من قبل مفهومة لديه.

فالانتباه هو :" الطاقة العقلية فى العملية المعرفية . أو توجيه الشعور وتركيزه فى شىء معين ، استعداداً لملاحظته أو أدائه" ***(حلمى المليجى، ١٩٩٢ : ١٨)***

ويعتبر الانتباه من العمليات العقلية التى اهتم بها المعرفيون ،حيث ظهرت كثير من البحوث التى تهتم بالكشف عن طبيعة العمليات العقلية التى تحدث عند انتباه الشخص لمنبه معين ***(فادية علوان ، ١٩٨٩: ٨٢)***

يقول ابن خلدون :لا ينبغى أن تطول على المتعلم فى الفن الواحد بتفريق المجالس ، وتقطيع ما بينها ؛ لأنه ذريعة إلى النسيان ، وانقطاع مسائل الفن (أى العلم) بعضها عن بعض يعسر حصول الملكة بتفريقها ، فإذا كان أوائل العلم وأواخره حاضره عند المتعلم كان ذلك أيسر لحصول الملكة لأن الملكات تحدث بتتابع الفعل وتكراره ***(ابن خلدون ،١٩٦٨ : جـ٤،١٣٥٤)***

وبمقارنة الدلالات بين ماورد على ألسنة علماء النفس المعاصرين وابن خلدون نجد سبق ابن خلدون فى إيضاح أهمية الإدراك عند التعلم بصفة عامة يقول فى ذلك أيضاً :

هناك فرق كبير بين نظريات التعلم ونظريات التعليم .

١- نظريات التعلم : نظريات وصفية أكاديمية ، تهتم بتفسير السلوك . أما نظريات التعليم فهى نظريات توصيفية "***Prescriptiv***" بمعنى أنها تهتم بوضع أفضل الطرق والوسائل لإحداث التعلم .

٢- نظريات التعلم تُعْنَىْ بطريقة تعلم الكائن الحى ، بينما نظريات التعليم تهتم بالطريقة أو الطرق التى يؤثر بها شخص (**المعلم**) فى طريقة تعلم ذلك الكائن الحى بمعنى أخر أن نظريات التعلم تهتم بما يفعله المتعلم ومحاوله تفسير ذلك الفعل ، نجد نظريات تعليم (التدريس)تهتم بما ينبغى أن يفعله المعلم .

٣- إن نظرية التعليم تكمل النقص فى نظرية التعلم . يقول برونر : إن نظريات التعلم تصف لنا السلوك ولا توظف لنا ولا تقول لنا كيف نطبق ذلك فى حين أن نظريات التعليم توضح ذلك فهى توضح لماذا ندرس ؟ كيف ندرس ؟ ماذا ندرس ؟ ما نتيجة التدريس ؟

٤- نظريات التعليم نظريات تحاول الاستفادة من التكنولوجيا المتاحة لاستخدامها فى مواقف تدريسية ويعد نوفاك وبرونر وأوزيل من هؤلاء المهتمين بنظرية للتعليم(حسن سلامة، ١٩٩١ : ٦٥)

"إذا تفرغ الذهن لما هو بسبيله مقتصراً عليه ، فربماً كان ذلك أجدر بتحصيله" .*(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤/١٣٥٩)*

مما سبق يمكن الخروج بالآتى :

١- ابن خلدون وعى شروط التعلم وسبق بها المعاصرين من علماء النفس ، فتَحَدَّث عن الدافعية ، والممارسة ، والنضج

٢- ابن خلدون سبق المعرفيين والجشطلت فى اهتمامه بضرورة إدراك المتعلم واستبصاره عند التعلم .

٣- ابن خلدون سبق السلوكيين فى تأكيده على التكرار والممارسة والتعزيز فى التعلم بصفة عامة وتعلم اللغة بصفة خاصة .

٤- سبق ابن خلدون من تحدث - من المعاصرين - عن ضرورة تنظيم الموقف التعليمى .

وحسب ابن خلدون أنه وعى هذه المفاهيم التى نجملها فى الجدول التالى :-

جدول (٢) يوضح أهم المفاهيم التى تراعى فى اكتساب اللغة من منظور مدارس علم النفس المعاصر ومنظور ابن خلدون عند حديثه عن الملكة اللسانية

المدرسة / المفهوم	السلوكية	المعرفية	الفطرية	الاجتماعية	التعلم بالملاحظة	ابن خلدون
التعزيز	*					*
المحاكاة			*	*		*
الفهم		*				*
التدرج في التعليم						*
التكرار	*					*
البيئة	*		*	*	*	*
الاقتران	*					
التعميم	*					
جهاز اكتساب اللغة (LAD)			*			

يلاحظ من الجدول السابق أن ابن خلدون قد وعى عند حديثه عن اكتساب اللغة (الملكة اللسانية) المفاهيم الآتية :

التعزيز ، المحاكاة ، الفهم ، التدرج فى التعلم ، التكرار ، البيئة .

عاشراً : <u>الملكة اللسانية والدرس الحديث</u> :

إن محاولة توضيح مدى ارتباط الملكة اللسانية بالدرس اللغوى المعاصر يعد أمراً ضرورياً لإظهار مدى بُعْد أو قرب الظاهرة موضوع الدراسة - التراث-من الحداثة أو المعاصرة حتى يتسنى لنا الوقوف على أرض صلبة من النتائج التى تعيننا على مواصلة

البحث ؛ الأمر الذى جعل الباحث يتلمس الدرس الحديث عند ***تشومسكى*** مؤسس المدرسة التوليدية فى النحو .

ولإبراز جوانب التجاذب والتنافر بين تشومسكى وابن خلدون كان من الضرورى معرفة -بعض - الأصول والرؤى التى تأثربها تشومسكى لتتضح المخرجات الناتجة عن هذه الأصول والتى انبثقت عنها نظريته اللغوية .

انطلق تشومسكى من منظور سياسى ، ليخدم وجهة نظره فى نظريته اللغوية . فهو يعد من السياسين البارزين فى العالم المعاصر (*)

" لقد انطلق تشومسكى من المنظور العقلانى ، فهو يؤمن بالاشتراكية المبنية على العقلانية ***(جيفرى ساميون ، ١٩٩٤ : ٢٨٨-٢٢٩)*** . وهو حين يتناول الجانب اللغوى يتناوله باعتباره سياسياً رفض قيام نموذجه السياسى على الفلسفة العقلية التى ترجع إلى أفلاطون ، وأقامها على عقلانية جديدة ظهرت نتاجاً لتزايد .المعرفة العملية الخاصة بعالم الإنسان الداخلى (ساميون ،١٩٩٤، ٢٣٠)

" لقد أقام تشومسكى نموذجه السياسى على أساس أفكار كل من ***جون لوك وهيوم*** ... وقد أشار ***بيركلين*** *Braklen* إلى أن أفكارهم تميزت بالقاعدة العنصرية الوارثية ... وقد أقام تشومسكى نظريته بناءً على هذه القاعدة .***(جيفيرى ساميون ،١٩٩٤ : ٣٣٢)*** لقد كان الهدف من البحث اللغوى عنده هو إيجاد نسق ثابت من المقولات الاصطلاحية التى يمكن بها وصف أى لغة إنسانية ؛ إذن فقد رفض المحتويات العنصرية للترتيب النحوى للغات . ومال إلى تأكيد الميكانيكية السيكولوجية الفطرية التى يفترض أنها خاصية لدى النوع البشرى ومن ثم ادعى أن قدرة الفرد العقلية اكتسبت تماماً مثل فسيولوجية الإنسان عن طريق ميكانزيمات الوراثة ***(جيفرى ساميون، ١٩٩٤ : ٢٣٢)***.

إذن الجانب السياسى عند تشومسكى أجبره على أن يتمسك بالجانب العقلى عند دراسته للغة " ولما كانت اللغة هى عمل العقل ، فإن هناك دائماً عوامل تكمن تحتها ، أى ليست على السطح . وهذا الرأى أخذه تشومسكى من ***وليم همبولت*** W.,Humbuldt الذي يعتبره ***تشومسكى*** صاحب فضل كبير فى ربط اللغة بالعقل ، وفى تقديم منهج توليدى لدراسة اللغة . ومن هنا كان انطلاق ***تشومسكى*** الذى يرى " أن هناك شكلاً خارجياً (آلياً)للغة ،وشكلاً داخلياً (عضوياً)

(*) يعد ناعوم تشومسكى من أكثر المناهضين للحكومة الأميريكية فى مساندتها لحكومة دولة اسرائيل ضد الفلسطنيين اقرأ على سبيل المثال :إسرائيل شاحاك :دور إسرائيل العالمى ' السلاح من أجل القمع ' (مقدمة : ناعوم تشومسكى مجلة الثقافية العالمية :(المجلد الثالث ، عدد١٧ ، يوليو ١٩٨٤) الكويت : (٩٧-١٥٧)

لقد كان الشكل الداخلى العضوى هو الأهم لأنه يتطور من الداخل وهو الأساس فى كل شىء . أو هو البنية العميقة لما يحدث بعد ذلك على السطح ، فلا ينبغى أن ننظر إلى اللغة باعتبارها ظواهر منفصلة ،ولكن باعتبارها نظاماً عضوياً تتداخل فيه كل الأجزاء ، ويؤدى كل جزء دوره وفقاً للعمليات التوليدية التى تكون البنية العميقة .

ويبدو مما سبق أن تناول تشومسكى للغة على هذا النسق ، أنه نابع من نظريته العامة للطبيعة البشرية ، وعن نظرته للحرية الفردية ، فالطبيعة البشرية غير خاضعة للعوامل الخارجية ، فهى تتطور من الداخل لأنها موروثه . وهذا التحرر من العوامل الخارجية هو الذى يجعل العمل الإنسانى خلاقاً إبداعياً ، على عكس العمل الحيوانى الآلى .

إن العمل الخلاق لدى الإنسان يصدر من الداخل أى من البنية العميقة ، فاللغة أداة للتفكير الحر والتعبير الذاتى .

ويرى تشومسكى أن أصل اللغة كما أصله همبولت يعنى امتلاك اللغة ، ولا يعنى ممارستها الفعلية أى يعنى مصطلح الكفاءة Competence (*) ولا يعنى مصطلح الأداء (**) Preformance (عبده الراجحى ، ١٩٩٤ :١٢٣-١٢٥) ." فمصطلح الكفاءة عنده مصطلح عقلى ضمنى ، والذى دعاه لهذا اعتقاده بأن للغة جهازاً فطرياً يُمَكِّن الإنسان من التواصل اللغوى ... وهذا الرأى نتيجة اعتناق تشومسكى لآراء **كودورث** *Coudwarth* الذى ذهب إلى أن للعقل قوة فطرية داخلية تمده بالمبادىء والتصورات التى تعمل على تركيب وتشكيل المعرفة وقد اعتقد تشومسكى أن الأفكار القابلة للفهم تنبعث من العقل ذاته ، لأن لها نفس النوعية التى توافق العقل (عبد الغنى محمود حمدى ،١٩٨٣: ٥٩)

" إن تأثر تشومسكى بالمذهب العقلى جعله يشرح الأسباب التى تجعل بنى البشر –جميعهم – يمتلكون اللغة . لقد أشار إلى العوامل الوراثية الفطرية التى تدخل فى تصميم المميزات العقلية البشرية .. واعتقد أن هناك أصولاً عميقة فى التركيب البيولوجى للإنسان تجعله يتميز بالمقدرة على الكلام ، وأن هذه الأصول تعد بمثابة مبادىء عامة تشترك فيها كل اللغات الإنسانية . ولم يتردد فى القول بأن هذه المبادىء تشكل جزءاً من الطبيعة البشرية "(عبد الغنى محمود حمدى ، ١٩٨٣ : ٦٠)

" لقد كانت أفكاره تهدف إلى فهم الطبيعة البشرية ذاتها . فمن هنا اتجه إلى الاهتمام بأكثر مظاهر اللغة الإنسانية وضوحاً وهو المظهر الإبداعى الذى جعله يشير إلى مقدرة

(*) مصطلح الكفاءة Competence يعني معرفة الإنسان الضمنية لنظام أو حدث أو حقيقة ، فهي القدرة المثالية غير الملاحظة لعمل شيء ما أو أدائه . مثل معرفة الفرد لقواعد لغته معرفة ضمنية .

(**) الأداء (Preformance) فإنه المظهر الخارجي الملموس للدلالة علي المقدرة أو القيام بفعل أو ممارسة شيء مثل إصدار الفرد مجموعة من الجمل التي تمكنه من التواصل مع من حوله فهي عملية إنتاج اللغة كالحديث والقراءة .

الأطفال على اشتقاق الأحكام البنائية للغتهم القومية ، واعتقد – تشومسكى أن هذه الأسس التى تمكن الأطفال من تحقيق هذا ليست أسساً مستمدة من التجربة أو الخبرة ، ولكنها كامنة فى التكوين البيولوجى ، تنتقل بالوراثة من جيل إلى جيل فأى طفل وإن كان يكتسب القوانين النحوية الخاصة بلغته ، ويتعلم الاستخدامات الخاصة بها –إلا أنه يستخدم مقدرته العقلية فى توليد وفهم عدد لانهائى من الرسائل اللغوية الصائبة ، وهذه المقدرة قد اكتسبت مثل الفسيولوجية الإنسانية بفعل قوانين الوراثه ، ولهذا قال : إن بنى الانسان يرثون القدرات العقلية مثلما يرثون تماماً الخصائص المميزة لملامح الوجه ***(عبدالغنى محمود حمدى ،١٩٨٣ : ٦١)***

إذن البشر يملكون لغة ، قد يشتركون فى قواعد عامة ؛ نظراً لأن عقولهم مفطورة على اللغة و نظراً لاشتراكهم فى أصولهم البيولوجية ، فلو أمكن معرفة القواعد العامة للغات كلها أمكن التوصل إلى معرفة كنه الطبيعة البشرية للبشر عموماً ، وبالتالى فَهْم الصراعات بين البشر . ولما كانت اللغة هى أحد مكونات الطبيعة البشرية ، فقد سعى تشومسكى إلى إقامة نظرية عامة للغة تَّصْدُر عن الاتجاه العقلى .مما جعله يبتكر مصطلحين أساسين – سبق عنهما الحديث – هما الكفاءة والأداء فهذان المصطلحان يمثلان حجر الزاوية فى النظرية التوليدية التى ابتدعها تشومسكى .

إن الفرد يمتلك قواعد لغته – بفعل الفطرة الموروثه – بصورة لا شعورية هذه القواعد محددة فى عددها ، ولكن هذا الفرد قادر على إنتاج آلاف الجمل التى قد يسمعها من قبل . وهذا بفعل الحدس اللغوى . فالمعرفة النحوية التى يفترضها تشومسكى تتشكل بحقائق النحو – الموروثة –نتيجة لاقتناء متحدثى اللغة هذه الحقائق فيعرف المتحدثون أن الاستنتاجات الكلامية الثابته هى استنتاجات نحوية . وان الاستنتاجات غير الثابته هى استنتاجات غير نحوية . وبذلك يقتنى المتحدثون الحدس اللغوى .وعلى النظرية اللغوية أن تسعى لفهم كيف يستطيع المتكلم أن ينتج جملاً لا حصر لها ، وأن تميز ما هو مقبول نحوياً مما ليس مقبولاً . أى أن النحو عليه أن يكون صالحاً لتوليد كل الجمل النحوية اللغة . من هنا سمى بالنحو التحويلى ***(عبده الراجحى ،١٩٩٠: ١١٦)*** إن دراسة الكفاءة والأداء لابد وأن تسعى إلى معرفة ما يسميه تشومسكى بالنحوية فى اللغة ،أى بالقواعد التى على أساسها تكون الجملة مقبولة نحوياً أو غير مقبولة لدى صاحب اللغة . هذا الحكم يأتى من خلال الحدس اللغوى الذى هو صفة إنسانية لدى البشر عامة .

مما سبق يتضح الآتى :

١– تبنى تشومسكى الفلسفة العقلية التى ظهرت نتاجاً لتزايد المعرفة العلمية الخاصة بعالم الانسان الداخلى .

٢-يؤمن تشومسكى بوجود مكون فسيولوجى موروث لدى البشر اطلق عليه جهاز اكتساب اللغة Language Aqiusition Divice (L.A.D)

٣- الكلام صفة إنسانية وما الكلام إلا مظهر مرئى (أداء لغوى) يعبر عن بنية سطحية آتية من بنية عميقة (فطرية) أطلق عليها (الكفاءة اللغوية)

٤- إن الكفاءة والأداء نتاج حدس لغوى موروث يعزز من خلال قبول /عدم قبول الأداء اللغوى فى المجتمع .

٥- ضرورة النظر إلى اللغة لا على أنها ظواهر منفصلة ، ولكن باعتبارها نظاماً عضوياً (تركيبياً) تتداخل فيه كل الأجزاء ، ويؤدى كل جزء دوره وفقاً للعمليات التوليدية التى تكون البنية العميقة

٦- اللغة عمل العقل (**رَأْى همبولت**) لها مظهران مظهر خارجىهو الأداء ومظهر داخلى هو الكفاءةالتى تمكن صاحبها من إنتاج جمل لا حصر لها ومن الضرورى الاهتمام بالمظهر الداخلى الذى يوجه المظهر الخارجى (الأداء).

٧- إن النظرية اللغوية -من وجهة نظر تشومسكى -دورها الأساسى يكمن فى الوصول إلى معرفة كيفية توليد الجمل اللانهائية من قواعد محدودة .

٨- إن دراسة اللغة عند تشومسكى دافعها الأول سياسى بالدرجة الأولى ، حيث أن مذهبه مناهض للعنصريين (التميز العِرْقى الموروث)، ولهذا يسعى إلى إيجاد سمات لغوية عامة لدى لغات البشر جميعاً هذه السمات الموحدة ، تجعله يقف على فهم الطبيعة البشرية التى يحاول إثبات أنها موروثة . فإذا ما وصل لهذا استطاع أن يثبت مذهبه السياسى المناهض للعنصرية .

لقد بدأ تشومسكى ثورته اللغوية بالثورة على المدرسة السلوكية التى لا تفترض الجانب الإبداعى الخلاق عند الإنسان من ناحية اللغة ، لأنها حددت سلوكه وقيدته بالمثير والاستجابة ، والسلوك لا يكتسب إلا من خلال تعزيز ليصبح عادة لدى المستجيب فالطبيعة الإنسانية هنا - تبعاً للسلوكية - يمكن أن تحدد وتقيد وفق ما أعد لها من مثيرات وتعزيزات تؤكدها . فيتم إعداد جماعة متميزة - وفقاً للمثيرات والإستجابة - وجماعة أخرى أقل تميزاً فى السلوك - تبعاً للمثيرات المعدة - من هنا تنشأ العنصرية التى رفضها تشومسكى برفضه للمثير والاستجابة التى قامت عليها السلوكية . والتى رفضت دراسة الأسباب الكامنة وراء السلوك . ومن ثم كانت بداية ثورة تشومسكى على السلوكية بادعائه بالبنية السطحية والبنية العميقة الآتيان من جهاز اكتساب اللغة الفطرى الموروث . L.A.D

هذه هى بعض - ما استقرأه الباحث - من المنطلقات التنظيرية لتشومسكى ولقد وجد الباحث أن هناك اتفاقاً بين الكفاءة اللغوية عند تشومسكى ومفهوم الملكة اللسانية عند ابن خلدون .

٢ - " ***الملكة بين ابن خلدون وناعوم تشومسكى*** "

" يكاد يقترب مفهوم الملكة اللسانية عند ابن خلدون من مفهوم الكفاءة اللغوية ، فامتلاك اللغة يكون عبر ما يسميه تشومسكى الكفاية اللغوية ، وما يسميه ابن خلدون بالملكة اللسانية ... ويكاد مفهوم التسميتين تتعادلان وتشيران إلى نفس المسمى وهو المقدرة على التكلم" ***(ميشال زكريا، ١٩٨٦ :١٨) ، (عبد الله سلحب ، ١٩٩٦ : ٢٩٥).***

إن نظرية تشومسكى تتمحور فى أن متكلم اللغة الذى نشأ فى بيئة معينة يكتسب قواعد لغته بصورة لا شعورية ،مما يتيح له إنتاج جمل تمكنه من التواصل مع الآخرين :" ***(ميشال زكريا،١٩٨٦ : ١٩)*** . وكذلك أيضاً نجد أن ابن خلدون قد سبق هذا الرأى بقوله :

" فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله، وأساليبهم فى مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم ، كما يسمع الصبى استعمال المفردات فى معانيها فيلقنها أولاً ثم يسمع التركيب بعدها فيلقنها كذلك ، ثم لا يزال سماعهم يتجدد فى كل لحظة ، ومن كل متكلم حتى يصير ذلك ملكة راسخة فيه ، وهكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل ،وتعلمها العجم والأطفال ، وهذا معنى ما تقوله العامة :إن اللغة للعرب بالطبع أى بالملكة الأولى التى أخذت عنهم ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :ج٤/ ١٣٨٩)*** ويقول فى موضع أخر : لو فرضنا أن صبياً من صبيان العجم المستعربين ربى ونشأ فى جيل العرب الأقحاح فإنه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الإعراب والبلاغة فيها ويستولى على غايتها "***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤ / ١٤٠٠)*** .

ويقول فى موضع أخر مؤيداً ما يقول بحقيقة واقعية :" كان صاحب النحو سيبويه وأبو على الفارسى من بعده كلهم عجم فى أنسبهم ، وإنما ربوا فى اللسان العربى فاكتسبوه" ***(ابن خلدون، ١٩٨٦ :جـ٤ / ١٣٦٨)*** ويقول فى موضع أخر : "إن عُرِض لك ما تسمعه من أن سيبويه والزمخشرى وأبو على الفارسى وأمثالهم من فرسان الكلام كانوا عجماً مع حصول هذه الملكة لهم ، فاعلم أن أولئك القوم الذين تسمع عنهم ، إنما كانوا عجماً فى نسبهم فقط أما المَرْبى والمنشأ ، فكانت بين أهل هذه اللغة والملكة من العرب ومن تعلمها منهم . فاستولوا بذلك على اللغة ،كأنهم فى أول نشأتهم من العرب الذين نشأوا فى جيلهم حتى أدركوا كنه اللغة وصاروا من أهلها ثم عكفوا على دراسة اللغة حتى استولوا على غايتها" ***(ابن خلدون ١٩٦٨ : جـ ٤/ ١٤٠١)*** **يتضح مما سبق أن اكتساب اللغة من وجهة نظر ابن خلدون كالآتى :**

١- اكتساب اللغة يتم فى البيئه .

٢- اكتساب اللغة يتم من خلال تكرار السمع .

٣- تكرار السمع يكسب الفرد معرفة لغوية ضمنية .

٤- بالمعرفة الضمنية (بقواعد اللغة)يتمكن الفرد من التواصل اللغوى .

٥- المعرفة الضمنية تُكْسِبُ الفرد حدساً لغوياً .

أليس هذا ما قرره تشومسكى من أن الطفل يكتسب لغته من خلال جهاز اكتساب اللغة(L.A.D) بصورة لاواعية تيح له إنتاج وتوليد جمل لا حصرلها .

ولنحاول فى الأسطر التالية الوقوف على نقاط الالتقاء والتماس بين تشومسكى وابن خلدون محاولين إعطاء المفكر المسلم العربى ابن خلدون حقه ووضعه فى مكانة علمية لغوية تليق به ، فبعض الباحثين (*) -ممن تأثروا بالغرب - غمطه حقه ، وأظهر أن ما سبق به ابن خلدون مفكرى الغرب ليس إلا لحظة تروى عابرة لا تعدو - فى أحسن الأحوال - إلا وجهة نظر غير مؤسسة علي دعائم علمية ، موضحاً أن علماء الغرب اللغويين قد درسوا الموضوع من وجوه عديدة ولايتنسى لنا مقارنة ابن خلدون بهم ،" وإنما يكفيه إنه تحسس ما ذهب إليه خلال بحثه فى الملكة اللسانية " ***(ميشال زكريا ، ١٩٨٦ : ٣٣)***

أ- كيف تكتسب اللغة أو الملكة اللسانية ؟

" يقول تشومسكى " إن المسألة الأساسية فى دراسة اللغة هى أن نفسر كيف يمكن اكتساب المعرفة باللغة ، هذه المعرفة التى لا تكفى التجربة -بالتأكيد- لتحديدها . فعلى نحوما، ومن خلال مد التجربة اللغوية العادية المشوشة ينمو فى الدماغ -بشكل محدد- تنظيم كفاية قواعدية غنى وواضح " ***(ميشال زكريا ، ١٩٨٦ : ١٨)*** ويلاحظ تشومسكى كذلك أن نمو اللغة لدى الطفل يمر بمراحل متتابعة ، فالطفل يملك بالفطرة تنظيماً ثقافياً يمكن تسميته بالحالة الأساسية للعقل ، فمن خلال التفاعل ، وعبر مسار النمو الذاتى يمر العقل بتتابع حالات تتمثل فيها البنى المعرفية وفيما يتعلق باللغة تحصل تغيرات كثيرة ، نسبة إلى الحالة الأساسية للعقل خلال المرحلة الباكرة من الطفولة ، وبعدها تكمل الحالة العقلية ، وتصبح صلبة ،وثابته وتتمثل فيها المعرفة اللغوية بطريقة معينة عند الإنسان ***(ميشال زكريا ، ١٩٨٦ :١٨)***

لو استقرأنا كلام ابن خلدون لوجدناه قد سبق تشومسكى فيما ذهب إليه - مع التحفظ بما استعان به تشومسكى من علوم محدثة لم تكن فى عهد ابن خلدون-يقول ابن خلدون :

"إن الملكة لا تحصل إلابتكرار الأفعال ، لأن الفعل يقع أولاً وتعود للذات منه صفة ، ثم تتكرر فتكون حالاً ،معنى الحال أنها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون الملكة أى صفة راسخة " ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ ٤ / ١٣٥٤)***

(*)لا يتفق الباحث مع رأى ميشال زكريا فيما ذهب إليه ***(ميشال زكريا، ١٩٨٦ : ٣٣)***. حيث أراد أن يقلل من شأن ابن خلدون فيما ذهب اليه عندما تحدث عن اكتساب اللغة.والواقع أن هذا شأن معظم من تربوا على مائدة الغرب العلمية ، فلنعد إلى التراث لنتعرف على آراء العلماء المتطورة بدلاً من أن نلهث وراء كل ما هو غربى مما يرسخ فى أذهاننا أننا نعيش " بسيكولوجية العقل المقهور " .

نجد من قول ابن خلدون أن العقل يلعب دوراً مهماً فى عملية اكتساب اللغة فمع تدرج، وتكرار الأفعال مع عمل العقل ونموه ، تنمو الملكة اللسانية وتتكون القدرة اللغوية عند المتحدث .

" لقد استفاد تشومسكى من أبحاث الذاكرة وعلم اللغة العصبى فقال :

إن الطفل يكتسب القدرة اللغوية بصورة متدرجة " فتنظيم القواعد يتم وبشكل محدد . من خلال عملية نمو داخلية تحدث داخل الدماغ *(ميشال زكريا ، ١٩٨٦ : ٥٤)* ألا يفهم ذلك من كلام ابن خلدون السابق عن كيفية حدوث الملكة اللسانية ؟

يتضح مما سبق :

١- أن اللغة يتم اكتسابها وفق مراحل متدرجة .

٢-أن اللغة تكتسب بالتكرار مع زيادة النمو العقلى .

٣- أن ابن خلدون اختلف مع تشومسكى فى وسيلة اكتساب اللغة . فمنطلق ابن خلدون (قومى) ، لهذا اقتصر على اللغة العربية ، فكانت وسيلة فى ذلك الاقتصار على سماع المنثور والمنظوم من كلام العرب ، دافعه فى هذا النزعة العربية ؛ لاستعادة اللكنة العربية بدلاً من طغيان اللكنة الأعجمية . أما تشومسكى فلم يحدد وسيلة الممارسة اللغوية المؤدية لاكتساب المقدرة اللغوية أو الكفاية اللغوية ، منطلقاً من نظرته العالمية للغة ، ومحاولة إيجاد نظرية لغوية عالمية Universal Langauge ، فهو غير مهتم بتعليم لغة بعينها لقومية محددة ساعياً فى ذلك لإيجاد صيغة موحدة تعين فى معرفة كيفية اكتساب اللغة فى أى مجتمع من أجل الوصول إلى كنه الطبيعة الإنسانية يقول "تشومسكى " نحن نحتاج لنظرية لغوية تشارك فى فهم الطبيعة البشرية . وأن يكون ذلك فى نطاق مبادىء العلم *(عبده الراجحى ، ١٩٩٤ : ١١٤)* فالطفل عند تشومسكى يولد ولديه جهاز فطرى يمكنه من اكتساب اللغة فى أى زمان ومكان . لهذا نجده يسعى لتأصيل نظرية عالمية للنحو *(جودث جرين،١٩٩٣ : ١٣٦)*

ب – الملكة اللسانية غير قوانين الإعراب = الأداء اللغوى غير الكفاءة اللغوية

إن صناعة العربية هى معرفة قوانين هذه الملكة ، ومقاييسها الخاصة فهو علم بالكيفية وليس نفس الكيفية(*) بمعني إن القدرة على إنتاج الكلام ـ المتسم بالصواب اللغوى – يقوم على معرفة ضمنية بالقواعد . وهذه المعرفة الضمنية المُعِينة على الأداء اللغوى ليست هى القواعد نفسها . فابن خلدون يميز بين الملكة اللسانية (الفعلية) وبين القوانين النحوية المكتسبة بصورة

(*)راجع (٤٥ – ٤٦) من هذا البحث

ضمنية والتى تمكن صاحبها من التواصل بصورة صحيحة . وإن هذا التمييز يقارب ما ذهب اليه تشومسكى فى تفريقه بين الأداء (وهو القدرة اللغوية الفعلية) وبين الكفاءة اللغوية (وهى القواعد اللغوية المكتسبة ضمناً) مما جعل تشومسكى يخرج بمصطلحين هما **(البنية السطحية) (والبنية العميقة)** قاصدا بالبنية السطحية (الأداء الكلامى الفعلى)، وبالبنية العميقة (المعرفة اللغوية الضمنية والكفاءة اللغوية)

إذن ابن خلدون له مصطلحان هما :

[١] العلم بالكيفية يقابله عند تشومسكى مصطلح الكفاءة أو البنية العميقة وهى القواعد النحوية المكتسبة بصورة ضمنية

[٢]مصطلح النفس كيفية ويقابله عند تشومسكى مصطلح الأداء أو البنية السطحية .

فالكفاءة اللغوية بلسان تشومسكى والعلم بالكيفية (بلسان ابن خلدون)هما المعرفة الضمنية للقواعد اللغوية التى تعين على إنتاج الجمل . فى حين أن الأداء اللغوى بلسان تشومسكى والنفس كيفية

بلسان ابن خلدون هو الاستعمال الآنى لهذه المعرفة الضمنية . فالأداء الكلامى يتم من خلال قواعد الكفاية اللغوية (*) .

لقد اقترب ابن خلدون –فيما ذهب إليه فى موضوع اكتساب اللغة من مفهوم الكفاية اللغوية، فالملكة اللسانية فى تصوره هى فى نهاية المطاف المقدرة على صناعة العربية –إذ يكفى اللجوء إلى قوانينها لكى يصوغ العربى الكلام الصحيح . كما أن الكفاية اللغوية فى نظرية تشومسكى هى المقدرة على التواصل اللغوى بصورة صحيحة .

ج– الشكل والمضمون (اللفظ والدلالة)بين ابن خلدون وتشومسكى

لعبت قضية الشكل والمضمون دوراً بارزاً فى حياتنا الأدبية النقدية منذ بدايات الدراسات الأدبية العربية . فقد نبه إليها أبو هلال العسكرى ،وابن قتيبه والجاحظ .... وابن خلدون حين يتحدث فى هذا المضمار – أثناء حديثه عن الملكة اللسانية –نجده يهتم باللفظ دون المعنى وهو فى رأيه هذا يرجع إلى الجاحظ ***(غنيمى هلال ، دت :٢٦١)*** . فابن خلدون ومن قبله الجاحظ يرى أن العبرة بالألفاظ ، وأن المعانى تبع لها ، وهى الأصل فجودة الصناعة هى فى الألفاظ لا فى المعانى . فالمعانى لدى كل منا ، ولكن الجودة فى صياغة اللفظ وإحكامه .." وهذا الرأْى الخلدونى بمقاييس النقد الأدبى الحديث ،رَأْى صواب ***(غنيمى هلال ، دت : ٢٦١)***

(*) فالمقدرة اللغوية هى مجموعة القواعد والقوانين اللغوية المرتبة فى عقل الفرد – وهو غير مدرك لها بشكل واع . فهذه المعرفة الضمنية مندمجة فى دماغ المتكلم .وتقدم الأساس لفهمه للغة والعلاقات اللغوية أما الأداء اللغوى فهو المظهر الخارجى الملموس للدلالة على القدرة اللغوية ***(جوديث جرين ، ١٩٩٣ : ١٢٣)*** .

إن اهتمام ابن خلدون بالألفاظ دون المعانى هو نفس ما ذهب إليه تشومسكى فى نظريته اللغوية " فالنظرية التحويلية لا تعير الدلالة أهمية ***(يحى أحمد ،١٩٨٩: ٧٠) (ميشال زكريا ،١٩٨٦ : ٥٥)*** . فالنظرية التحويلية تقرن الدلالة بالصوت " فتشومسكى يقدم لنا الإدعاء الأقوى بأن مستخدم اللغة يختزن نظاماً للقواعد يربط الصوت والمعنى بطريقة معينة وهو الذى يقوم على أساسه الاستخدام الفعلى للغة بواسطة المتحدث / المستمع " ***(جوديث جرين ،١٩٩٣ : ١٨٣)***.

<u>د-الحدس اللغوى</u>

يقصد بالحدس اللغوى . قدرة المتكلم على إدراك وتصويب الخطأ اللغوى فيما ينتجه أو يستقبله من الكلام ***(ميشال زكريا ،١٩٨٦ : ١٥٧)*** " وقد أوضح لينجدون Langdoen أحد تلاميذ تشومسكى " المعرفة الحدسية التى يقصدها ***تشومسكى*** "أنها المعرفة التى تتشكل بحقائق النحو فنتيجة لاقتناء متحدثى اللغة هذه الحقائق ، يعرف المتحدثون أن الاستنتاجات الكلامية الثابته هى الاستنتاجات النحوية ،وأن الاستنتاجات غير الثابته هى استنتاجات غير نحوية . وبذلك يقتنى المتحدثون بعض القوانين النحوية" *(محمود حمدى عبد الغنى ، ١٩٨٣ :٨٨)*

إذن الحدس اللغوى يقوم على اكتساب اللغة بصورة لاشعورية من خلال المعرفة اللغوية الضمنية لقواعد اللغة لقد أدرك ابن خلدون ذلك وأوضح أن الغاية من الملكة اللسانية هو تكوين هذا الحدس عند المتعلم .

يقول ابن خلدون :" المتكلم من العرب بلسان العرب – والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك،على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم ، وينظم الكلام على هذا الوجه جهده ، فإذا اتصلت معاناته لذلك بمخاطبة كلام العرب ، حصلت له الملكة فى نظم الكلام على هذا الوجه وسهل عليه أمر التركيب حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التى للعرب ، وإن سمع تركيباً غير جار على ذلك المنحى ،مجه، ونباعنه سمعه بأدنى فكر ، بل بغير فكر ، إلا بما استفاده من حصول الملكة ***(ابن خلدون ،١٩٦٨ : جـ٤ /١٣٣٩)*** يفهم من كلام ابن خلدون أنه وعى طبيعة الحدس اللغوى ، بل إن الحدس اللغوى يكون دليلاً على امتلاك صاحبه "للكفاءة لغوية ".

<u>هـ-التراكيب اللغوية أساس اكتساب الكفاءة اللغوية :</u>

يقول ابن خلدون فى فن النظم :" وتنظيم التراكيب فيه بالجمل وغير الجمل الإنشائية والخبرية ، اسمية وفعلية ... على ما هو شأن التراكيب فى الكلام العربى فى مكان كل كلمة من الأخرى يعرفك به ما تستفيده بالارتياض فى ذلك القالب على جميعها ، ولا تقولن أن معرفة القوانين الإعرابية مفيده فى ذلك ؛ إنما هى قواعد علمية وقياسية ، وهذه التراكيب إنما هى هيئة ترسخ فى النفس من تتبع الشعر ، وجريانه على اللسان حتى تستحكم صورتها ، فيستفيد بها العمل على مثالها ، والاحتذاء بها فى كل تركيب ... وإن القوانين العلمية من

العربية والبيان لا يفيد تعلمه بوجه ، وليس كل ما يصح فى قياس كلام العرب ، وقوانينه العلمية استعملوه ، إنما المستعمل عندهم من ذلك أنحاء معروفة يطلع عليها الحافظون لكلامهم تندرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية . فإذا نظر فى شعر العرب على هذا النحو ، وبهذه الأساليب الذهنية التى تصير كالقوالب كان النظر فى المستعمل من تراكيبهم لا فيما يقتضيه القياس ***(ابن خلدون ،١٩٦٨ : جـ٤ / ١٤١٣-١٤١٤).***

وابن خلدون – لا لتزامه بنسق فكرى واحد – كان يصر على ضرورة تعلم اللغة من خلال الشعر مشترطاً ضرورة احتواء النص على التركيب اللغوى حتى يتيسر فهم اللغة عند تناولها وممارستها لاكتساب الملكة . يقول فى هذا " ويتجنب أيضاً المعقد من التراكيب ، ويَقْصِدُ – الشاعر أو الناظم – منها ما كانت معانية تسابق ألفاظه إلى الفهم" ***(ابن خلدون ،١٩٦٨ : جـ٤ / ١٤١٧)***

ويقول فى موضع أخر : اعلم أن اللغات كلها ملكات وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها ، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات ، وإنما بالنظر إلى التراكيب . فإذا حصلت الملكة التامة فى تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعانى المقصودة ، ومراعاة التأليف الذى يطبق الكلام على مقتضى الحال . بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصود للسامع ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤ / ١٣٨٩)***.إن ابن خلدون عندما اهتم بالشّعر كان اهتمامه به كمقوم من مقومات الملكة اللسانية المعينة على إنتاج اللغة الصحيحة ***(عبد العزيز قليقلة ، ١٩٨٨: ٣٤٨)*** وعندما تحدث عن الملكة اللسانية كان يهتم بالصياغة الأسلوبية ، إذا كان يصر على " أن صياغة الأسلوب الجميل إنما يأتى بالتمرس من الكلام البليغ ، ومعرفة تكوين الصور والعبارات ، فالأسلوب فى الأصل صوره ذهنية تمتلىء بها النفس ويطبع الذوق عليها من خلال الدراسة والمرانة للأدب الجميل ،والأسلوب الجيد هو الأسلوب الذى يأتى من التراكيب لا من دراسة الألفاظ المفردة.

إن تعريف ابن خلدون للأسلوب بهذا الشكل يركز على الأداء أو طريقة التعبير ...وهذا يسير مع تعريفات المحدثين ***(أحمد الشايب ، ١٩٩٥ : ٤٨)*** .**ويقول أخر :**

" إن تعريف ابن خلدون للأسلوب بهذا الشكل تعريف اصطلاحى وليس تعريفاً لغوياً ، ويسبق بقرون دخول الأسلوب فى المصطلح النقدى الأوروبى فقد استخدم فى ***النقد الألمانى*** أوائل القرن التاسع عشر فى معجم **جريم** **Grimm** وورد لأول مرة فى اللغة الانجليزية ***كمصطلح*** عام ١٨٤٦م طبقاً **لقاموس "اكسفورد"** ودخل ***القاموس الفرنسى*** لأول مرة كمصطلح عام ١٨٧٢ م ***(صلاح فضل ، ١٩٩٤ : ٧٢ – ٧٣)*** .

وقد وضع ابن خلدون يده على الداء الذى جعل طلاب العربية ينفرون من النحو فقال : إن علماء العربية أجروا صناعة العربية مجرى العلوم بحثاً وقطعوا عن النظر فى التفقه فى

تراكيب كلام العرب ، إلا أن أعربوا شاهداً ، أو رجحوا مذهباً من جهة الاقتضاء الذهنى لا من جهة التراكيب ، فأصبحت صناعة العربية كأنها جملة من قوانين المنطق العقلية أو الجدل ، وتعدت عن مناحى اللسان وملكته ، وما ذلك إلا لعدولهم عن البحث فى شواهد اللسان وتراكيبه، وتمييز أساليبه ***(ابن خلدون ،١٩٦٨ : جـ٤ / ١٣٩٨)*** **ويقول كذلك :** هذه الملكة – كما تقدم – إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكراره على السمع ، والتفطن لتراكيبه ، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية فى ذلك التى استنبطها أهل صناعة اللسان ***(ابن خلدون ،١٩٨٦ : جـ٤/ ١٣٩٩)***

من هذا نفهم أن الملكة اللسانية يتم استيعابها من خلال فهم التراكيب النحوية المبثوثة فى ثنايا النص الأدبى أو الكلام البليغ ثم المقدرة على تمثلها مرة أخرى أو إنتاج تراكيب شبيهة بهذه التراكيب المتنوعة.

يفهم مما سبق أن ابن خلدون قد وعى – بما توافر لديه من علوم – ما يؤدى إلى اكتساب الملكة اللسانية . بل يمكن القول كذلك بأنه هناك نقاط التقاء بين وجهة نظر ابن خلدون وتشومسكى (*) فى موضوع اكتساب اللغة . وان كان الأخير قد استخدم مصطلحات كالكفاءة والأداء ولم يستخدمها ابن خلدون ، فإن ذلك لا يقدح فى فكر ابن خلدون – ولا يقلل من اسهامه فى عملية اكتساب اللغة – فما المصطلحان (الكفاءة والأداء) إلا نتاج العصر الحديث ، ولا يكون لنا أن نأخذ على أحد مفكرى القرن التاسع الهجرى . عدم استخدامه المصطلحين ، ولكن إشارته إلى مضمونها يعد ريادة – فى هذا المجال – يستحق عليها التقدير والثناء .

(*) وقد تأكد ذلك للباحث من خلال مراسلات دارت بين الباحث وتشومسكى ذاته . فقد تكرم تشومسكى بالرد على الباحث ويمكن الأطلاع على المراسلات التى دارت بين الباحث وتشومسكى . ويمكن إيجاز ما جرى فى الآتى :

١– التقى الباحث فى مركز اللغة العربية – لغير الناطقين بها – بكلية الآداب جامعة الاسكندرية بعدة طلاب من السويد وأمريكا ... وقد سألهم عن ابن خلدون ذلك العلامه العربى... وعلم من بعضهم أن مقدمة ابن خلدون ترجمت لعدة لغات –محلية –منها اللغة البلغارية على سبيل المثال . وسأل الباحث بعض الطلاب الأمريكيين –من تخصص علم الاجتماع – هل درستم شيئاً عن ابن خلدون فى دراستكم لعلم الاجتماع فأجاب بعضهم ان ابن خلدون شخصية عربية جيدة قد أسهم فى بناء علم الاجتماع . وعلم منهم أن هناك مؤلف انجليزى يدعى " فرانز روزنتال قام بترجمة المقدمة ... وحاول الباحث جاهداً العثور على هذه الترجمة لإثبات ذلك إلا أن التوفيق لم يكن حليفاً له..... فلم ييأس الباحث وحاول جاهداً . فوفقه الله تعالى لحولية كلية الآداب جامعة الكويت رقم (٧) الرسالة (٣٦) الصادرة عام (١٩٨٦)

وكان موضوعها " علم العمران الخلدونى – وهى باللغة الانجليزية وأكد مؤلفها على أنه اعتمد فى مصادره الأولى فى حديثه عن مقدمة ابن خلدون على ترجمة فرانزروزنتال [انظر الملحق، وفى أثناء ذلك كان الباحث يرسل تشومسكى سائلاً إياه : هل قرأت – لبعض مؤلفى العرب من القرون الوسطى منهم على سبيل المثال : الفارابى –ابن خلدون –ابن رشد . فكان الرد : لا وقد أرجع تشومسكى الباحث إلى مكتبات جامعه القاهرة (ملحق رقم 1)

٢– ارسل الباحث إلى تشومسكى للمرة الثانية قائلاً له :

إننى وجدت علاقة وثيقة ووشائج بين بعض مبادىء النظرية التحويلية وبين بعض آراء ابن خلدون . هذه الوشائج أوضحها الدكتور رمضان عبد التواب فى لقاء مع الباحث عام(١٩٩٥) –عندما ذهب الباحث إليه وأخبره عن موضوع بحثه –فتفضل

لحادى عشر : <u>الاستيعاب والتمثل جوهر الملكة اللسانية</u>

إن الباحث يستخدم هذين المصطلحين لاعتقاده بأن الملكة اللسانية تتم بهما . والباحث حين يدعى ذلك ينطلق من بُعْدين أساسيين أولهما بُعْد لغوى والأخر بُعْد خلدونى ، ولنحاول عرض هذين البعدين حتى نثق فيما نعتمد عليه من أقوال .

<u>١- البعد اللغوى :</u>

(أ) **<u>الاستيعاب</u>** : لفظة الاستيعاب مشتقة من الفعل (وعب) وهى بمعنى:

(أ) الاتيان على الشيء جزءاًجزءاًحتى يستولى عليه كله .

(ب) الاستقصاء للشيء من كافة وجوهه .

(جـ) الجمع :أى يجمع كل شىء ليأخذه ، ولا يترك أى جزءٍ منه ***(ابن منظور ، ١٩٧٣ : ٤٨٧٠)*** بجمع الدلالات (أ ،ب،جـ) نجد أن لفظة الاستيعاب تكون متوافقة مع ما يراه ابن خلدون فى الملكة ، ومتوافقة مع الموقف التعليمى التعلمى وفقاً للمنهج النحوى المقترح كالآتى :

فالملكة اللسانية تبعاً للمنهج المقترح – تتم من خلال نص أدبى راق يتناوله التلميذ من كافة وجوهه : الصوتية والدلالية والتركيبة النحوية . وهو حين يفعل ذلك ليس غرضه الوقوف على الدلالة النحوية أو القواعد فحسب ، بل يدرس النص من كافة وجوهه وهو حين يفعل يستجمع فهمه وميله واستعداده لتلقى اللغة .

= الدكتور رمضان عبد التواب بإحالة الباحث إلى رسالة أحد طلابه ويدعى "محمد أبو عمامة " بعنوان (أصول النحو العربى والنظرية التوليدية التحويلية) فقد وجد ذلك الباحث علاقة قوية بين آراء النحاه العرب وتشومسكى وابن خلدون مما حفز الباحث وجعله يصر على ملاحقة تشومسكى بالأسئلة . لعل الباحث يخرج بشىء مفيد . وفعلاً قام الباحث بإرسال خطاب لتشومسكى (ملحق رقم 1) وكان الخطاب يحتوى على السؤال التالى :

هل سيادتك قمت بقراءة كتاب ابن خلدون " المقدمة" النسخة الأصلية ....؟

فكان رد تشومسكى :" .... اننى فعلاً درست بعض الدراسات العربية منذ ٥٠ عاماً وقد قرأت لابن خلدون على يد فرانزروزنتال مترجم كتاب المقدمة للغة العربية الإنجليزية،انظر (***Fuad Baali , 1986 : 71***) و لم أقرأ النسخة الأصلية ... أنا متأكد من ذلك (الملحق رقم 1) وقد سُعِدَ بهذه الإجابة سعادة غامرة فها هو عملاق الدراسات اللغوية العالمية يقر بأنه استفاد من آراء ابن خلدون منذ قرون طوال ... ويسأل الباحث : ألا يحفزنا ذلك على التنقيب فى التراث ، فإننا لواجدون كنوز تغنينا وليترفق بنا – أولى الأمر – اللاهثون وراء كل غربى ، آملين فيه نهضتنا ، فهل نهضتنا المأمولة تأتى من استيراد آراء غيرنا ممن يختلفون عنا فكراً وعقيدة . وسبحان من قال :" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " أَعِزُّنَا عند غيرنا ؟ أَتُسْتَقى نهضتنا من نَبْعٍ غير منبعنا ؟ ليتنا نعود لأصولنا متمسكين بما هو عصرى مفيد . فنقف على أرض صُلبة متثبتين بجذورنا ،ناظرين بأعين واثقة من المستقبل ، عاملة على تحقيقه ، وذلك لن يأتى إلا من رؤى مستقبلية لها أصولها التراثية . أيها التربويون : قد كفانا من مساء يدعى أن نور الصبح من آياته ....إلى متى نعبد الصنم بعد الصنم ، إلى متى نستظل بشجرة تقلص ظلها عنا . إلى متى نبتلع السموم ونظن الشفاء فيها ....؟

(ب) التمثل :

لفظة تعنى الاحتذاء والاقتداء ***(ابن منظور ،١٩٧٣ : ١٤٣٤)*** فالتلميذ عند استيعابه الأدبى يحاكى معلمه ، ويحتذى به فى سلوكه – اللغوى –وهو حين يحاكى المعلم يكتسب القيم والتراكيب اللغوية التى تعينه على إنشاء الرسالة اللغوية المتفقة والمعايير الاجتماعية السائدة .

٣- البعد الخلدونى :

حين تحدث ابن خلدون عن كيفية اكتساب الملكة بصفة عامة ذكر لفظة ا ستيعاب اللغة . ولنصغ إليه حيث يقول :

١- ووجه التعليم لمن يبتغى هذه الملكة ، ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلام العرب الجارى على ألسنتهم ... حتى يتنزل لكثرة حفظة لكلامهم المنظوم والمنثور ثم يتصرف بعد ذلك فى التعبير عما فى ضميره على حسب عباراتهم وتأليفهم فى الكلام ؛ وما وعاه وحفظه من أساليبهم ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤ / ١٤٢٢)*** فلفظة يتنزل –حسب فهمى لها تكاد تكون مساوقة لدلالة كلمة الاستيعاب .ولفظة يتصرف تساوق –كما يفهما الباحث –دلالة كلمة التمثل ؛لأن الملكة هى " رهينه المعاودة المفضية إلى ارتسام المنوال الذى نسجت عليه مواضعات اللغة فى مخيلة المتعلم ، بحيث إذا هم بالخطاب نسج من حيث لا يشعر على منوال سُنِنها ، والسر فى ذلك أن ما تلقاه وحفظه عند الاستعمال والاختيار ، وإن ذهب رسمه الحرفى الظاهر فى الذاكرة . فقد تكيفت به المفس حتى انتقش الأسلوب كأنه منوال يؤخذ عليه بالنسج ***(عبد السلام المسدى ، ١٩٩٤ : ١٩١)***

هنا يمكن نقول:إن الملكة أصبحت راسخة " بحيث تتبادر المعانى إلى ذهن المتعلم من تلك الألفاظ التى حفظها عند استعمالها شأن الجبلى والبديهى" *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٣٧٠)*

ويقول فى موضع أخر " وتعلم مما قررناه فى هذا الباب أن حصول ملكة اللسان العربى إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب ،حتى يرتسم فى خياله المنوال الذى نسجوا عليه تراكيبهم ، فينسج هو عليه ويتنزل بذلك منزله من نشأ معهم وخالط عباراتهم فى كلامهم ،حتى حصلت له هذه الملكة المستقرة فى العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم ***"(ابن خلدون،١٩٦٨: جـ٤ / ١٣٩٨ -١٣٩٩)*** أليست هذه المقولة الأخيرة تدل دلالة قاطعة على معنى الاستيعاب .

ويؤيد ما ذهب إليه فى أن علماء العربية ذوو الأصل الأعجمى قد تمكنوا من العربية ، لأنهم احتذوا واقتدوا وقلدوا العرب فى كلامهم " فقد عكفوا على الممارسة والمدارسة لكلام العرب حتى استولوا على غايته ***"(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤ /١٤٠١)***

فالممارسة والمدارسة إنما هى خطوات للاستيعاب ، وإذا ما تم استيعاب الشىء فالفرد يتمثله قولاً وفعلاً فالاستيعاب يحدث قبل التمثل حيث إنه يأتى من خلال حفظ وممارسة اللغة والنصوص العربية الراقية ، والتمثل عبارة عن " هيئة ترسخ فى النفس من تتبع التراكيب فى شعر العرب ، لجريانها على اللسان حتى تستحكم صورتها فيستفيد بها العمل على مثالها والاحتذاء بها *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤/ ١٤١٣)*

ويلاحظ كذلك على كلام ابن خلدون أنه قد أورد كلمة (التكيف) عندما تحدث عن كيفية حدوث الملكة فقال :"..... ثم بعد الامتلاء والحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال ..... وبالإكثار منه تستحكم الملكة وترسخ وربما يقال : من شرطه النسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة ، إذ هى صارفة عن استعمالها بعينها ؛ فإذا ما نسيها ، وقد تكيفت النفس بها انتقش الأسلوب فيها كأنها المنوال ينسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى *(ابن خلدون ،١٩٦٨ : جـ٤/ ١٤١٦)*

يلاحظ مما سبق الآتى :

١- أن ابن خلدون استخدم لفظة الاستيعاب .

٢-لم يذكر لفظة التمثل .

٣- أن حديثه عن الملكة اللسانية كان يدور حول الحفظ والتكرار والفهم المؤدى للاستيعاب .

٤- فى حديثه عن الشّعر ذكر لفظة (التكيف) وهى هنا بمعنى : نسيان المحفوظ مع القدرة على تمثله أى الإتيان بما يساوقه ، ويشابهه من فنون القول السائر على ألسنة العرب .

إذا كان الاستيعاب هو حفظ وفهم - بوعى أو بدون وعى -لكلام العرب ، هذا الفهم المؤدى إلى الحفظ يجعل المتكلم العربى يستطيع التواصل مع المحيطين به أى إلى إنتاج اللغة التى يفهمها المستقبل . هذا الإنتاج اللغوى يساوى مصطلح التمثل عند ابن خلدون . فإن الباحث يستطيع الإدعاء بالآتى :

١- أن الاستيعاب يكاد يتفق مع مصطلح الكفاءة (بنية عميقة) عند تشومسكى وأن مصطلح التمثل يكاد يتساوق مع مصطلح الأداء بنية سطحية) عند تشومسكى أيضاً

فالاستيعاب يؤدى إلى تمكن المتعلم من القوانين والأعراف الاجتماعية اللغوية التى من خلالها يستطيع أداء اللغة بصورة صحيحة ، تكسبه حدساً لغوياً يستطيع من خلاله أن يقبل كل ما هو صحيح لغوياً ، ويَمُجُ كل ما هو شاذ عن عرف اللغة .**وفيما يلى يُقَدَّمُ:**

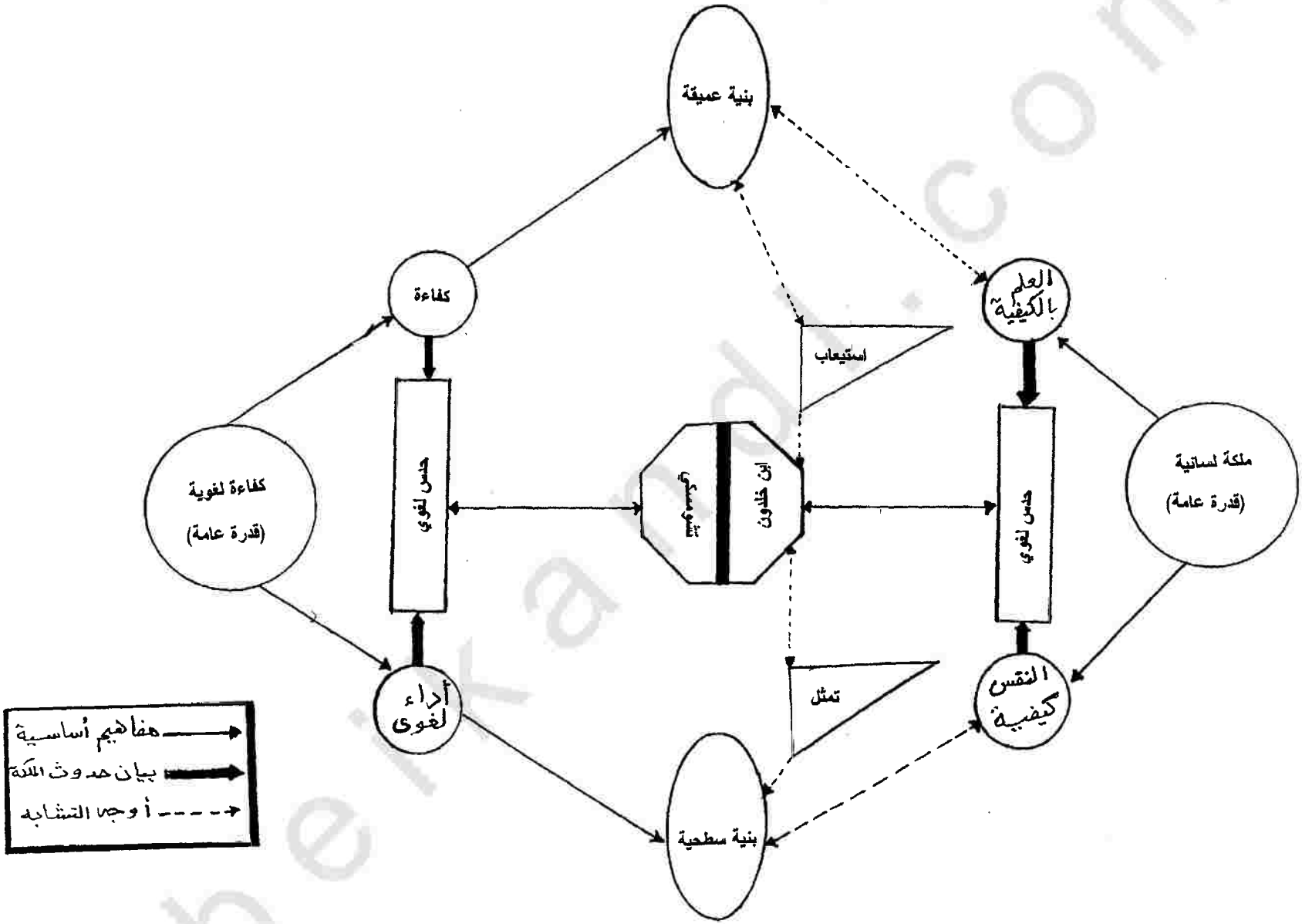

شكل (٣) يوضح مدى الالتقاء بين كل من تشومسكى وابن خلدون .

obeikandl.com

الثانى عشر : ابن خلدون وفنون اللغة

(١) الاستماع : عندما تحدث ابن خلدون عن هذا الفن قال: السمع أبو الملكات اللسانية " *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٣٩٩)*

(٢) الكتابة عند ابن خلدون :

يعرفها ابن خلدون قائلاً : هى رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما فى النفس فهى ثانى رتبة من الدلالة اللغوية .....وهى صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الإنسان الذى يتميز بها عن الحيوان ،وبها أيضاً يطلع عما فى الضمائر وتتأدى بها الأغراض ....فهى صناعة شريفة بهذه الوجوه والمنافع ،وخروجها فى الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم *"(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٣ / ١٠٨٣)*

والكتابه عنده تحدث بالممارسة " إن الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب " *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٣ / ١١٠٥)*

"وابن خلدون قد سبق أعظم لغويى العالم وهو "فرديناندوسو سير " فابن خلدون يناظر **دوسوسير** كاشفاً عن بعد نظره إلى مسألة دخول الكتابه واستقرارها فى وعى الجماعة ، وأثرها وخطورتها ....وهو يعطيها حقها وأهميتها الجوهرية فى الحضارة الإنسانية " ***(ولتر اونج ، ١٩٩٤ : ٣١٠).***

وهو فى حديثه عن الكتابه لا يغفل التفريق بينها وبين الكلام قائلاً : "اعلم أن العلوم الإنسانية خزانتها النفس الإنسانية بما جعل الله فيها من إدراك ...وذلك البيان ، إنما يكون بالعبارة ،وهى الكلام المركب من الألفاظ النطقية التى خلقها الله فى عضو اللسان مركبة من الحروف ،وهى كيفيات الأصوات المقطعة بعضلة اللهاة واللسان ؛ ليتبين بها ضمائر المتكلمين بعضهم لبعض فى مخاطبتهم وهذه الرتبة أولى فى البيان عما فى الضمائر ، وإن كان معظمها وأشرفها العلوم فهى شاملة لكل ما يندرج فى الضمير من خبر وإنشاء على العموم ،وبعد هذه الرتبة الأولى من البيان رتبه ثانية ، يؤدى بها فى الضمير لمن غاب ، أو توارى شخصه، وبعد لمن يأتى بعده ،ولم يعاصره ....وهذا البيان منحصر فى الكتابة " وهى رقوم باليد تدل على أشكالها وصورها بالتواضع على الألفاظ النطقية حروفاً ، وكلمات . فصار البيان فيها على ما فى الضمير بواسطة الكلام المنطقى . فلهذا كانت فى الرتبة الثانية .....وهى لكل أمة باصطلاحاتهم " ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : ج٤/١٣٤٥)*** مما سبق يتضح أن "ابن خلدون جعل الحديث أسبق من الكتابه حين جعله فى المرتبه الأولى . وجعل الكتابة فى المرتبة الثانية .وهذا ما يقوله المحدثون من أن الحديث أسبق من الكتابة فى مراحل اكتساب اللغة .

وهو لا ينسى أن يشير إلى أن الكتابة تعين فى اكتساب الملكة فهو يقول :

"ربما يكون الدأب على التعليم والمران على اللغة وممارسة الخط يفضيان بصاحبهما إلى تمكن الملكة اللسانية "(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٣٧٢)

(٣) فن الحديث عن ابن خلدون :

عندما تحدث ابن خلدون عن هذا الفن ذكره فى موضعين اثنين عندما تحدث عن طرق التحصيل فقال :" مشافهة اللسان بالخطاب " والحديث عنده لا يكون مفيداً إلا اذا اتم معنى مفيداً يقول : " اعلم أن الكلام الذى هو عبارة المخاطب وسره وروحه لا يكون إلا إذا أتم معنى مفيداً" *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٤٢٧)*

ومع أن للحديث مهارات حرص عليها الأقدمون إلا أن ابن خلدون لم يذكر منها شيئاً على الإطلاق واكتفى بالإشارة إلى ما سبق فى الموضعين المذكورين .

(٤) فن القراءة عند ابن خلدون :

بعد استقراء المقدمة لم يعثر الباحث على حديث خاص لابن خلدون عن القراءة كما فعل فى بقية الفنون الأخرى ،وإنما ذكر هذا الفن ذكراً عابراً فى فصل "صناعة الغناء" وفى فصل"إعلم أيها المتعلم أنى اتحفك بفائدة فى تعلمك "

يقول ابن خلدون عن القراءة " وهى معرفة الألفاظ ودلالتها على المعانى الذهنية ترددها مشافهة الرسوم بالكتاب " ***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ :ج٤/ ١٣٥٦)*** " وهى " مشافهة الرسوم الخطية"***(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : ١٣٧١)***

وحين أراد أن يوضح مهارات القراءة . قال: القراءة والأداء تحتاج إلى مقدار من الصوت لتعيين أداء الحروف " .والأداء هنا هو الغناء القائم على الآلات الموسيقية فهو لا يقصد مهارات الأداء اللغوى للقارىء ، وإنما يقصدها للمعنى ،أو مرتل القرآن

تعقيب :

- يتضح مما سبق :

١- تحدث ابن خلدون عن الاستماع ،والحديث ،والقراءة ،والكتابة

٢- حديثه عن الفنون السابقة لم تأت مرتبة تبعاً لترتيب المحدثين فى حديثهم عن فنون اللغة العربية ،وإنما كان حديثه عن هذه الفنون يختلف من آن لآخر . فقد تحدث عن الكتابة وفرق بينها بين الحديث ،وتحدث عن الاستماع وأعطاه وزناً نسبياً أكثر من غيره ، أما حديثه عن القراءة فلم يعطه حقه .ولكن ينبغى أن ندرك مقوله ابن خلدون :" ان الملكة لا تتم إلا **بحفظ** كلام العرب ،وتكرار **ممارستة ، والحفظ** يأتى بطريقتين إما مداومة السماع من المحيطين أو قراءة هذا الكلام . فالسمع والقراءة هما فنا استقبال اللغة ، بل ومن المعينات على تحصيل اللغة كذلك .

٣- لم يوضح ابن خلدون العلاقات المتداخلة بين فنون اللغة الأربعة **المُسَاهِمَة** فى اكتساب الملكة اللسانية ،وإن أدراك أن هذه الفنون معينة على اكتساب اللغة يقول فى ذلك :

" ومن يروم تحصيل هذه الملكة أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم الجارى على أساليبهم ....ثم يتصرف بعد ذلك فى التعبير عما وعاه فى ضميره ....."

فلفظه **بحفظ** تعبر -كما أفهم كلام ابن خلدون - عن الاستماع ،والقراءة ،ولفظة **يتصرف** تعبر عن فنا الإنتاج اللغوى وهما الكتابة أو الحديث .

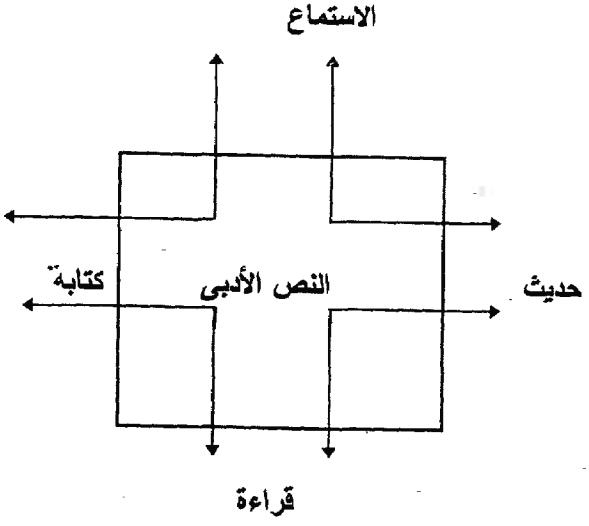

شكل رقم (٤) يوضح

الملكة اللسانية وفنون اللغة

الثالث عشر : مداخل تدريس اللغة :

مع كثرة البحوث النفسية وانتشارها بدأت تظهر مداخل متعددة لتعلم اللغة ،منتهجة طرق تدريس متباينه ، منبثقة من أطر تنظيرية مختلفة ساعية إلى تحقيق أقصى درجة الانتشار.

وطريقة التدريس تعرف بأنها " التوجه الفلسفى والنظرة العامة لتدريس اللغة من الناحية النظرية ، وطرق اختيار المادة العلمية التى يراد تدريسها للطلاب من الناحية العملية ***(نايف خرما وعلى حجاج ، ١٩٨٨ : ١٦٧)***

أما المدخل فيعرف بأنه " الأسلوب المتبع فى تدريس اللغة معتمداً على وجهة نظر سيكولوجية ***(نايف خرما وعلى حجاج ، ١٩٨٨ : ١٦٧)***

وفيما يلى يمكن توضيح بعض المداخل اللغوية بغية التعرف عليها من أجل الوقوف على معرفة مدى قرب أو بُعْد هذه المداخل من طريقة ابن خلدون فى تدريس اللغة .

أ- المدخل التقليدي . Traditional approach

وتتحدد ملامح هذا المدخل فيما يلى ***(على سلام، ١٩٩٤ : ١٢٧-١٢٨)***

١- التركيز على القواعد النحوية والصرفية على افتراض أن تمكن التلميذ منها يساعده على ضبط استخدامه للغة .

٢- تدريب الطالب على القواعد اللغوية عن طريق التعرف عليها وحفظها .

٣- تطبيق القواعد اللغوية على استخدام اللغة ، وخصوصاً فى القراءة والكتابة .

٤- الاهتمام بالأحكام والتعميمات النحوية بوصفها وسيلة لتعلم اللغة وضبط استخدامها .

٥- إهمال الجانب الشفاهى لممارسة اللغة ومهارات النطق ، والتواصل وعدم ربط تعليم اللغة بوظيفتها التواصلية .

وقد اتضحت ملامح هذه الطريقة فى تعلم اللغة العربية ، فى العقود الأخيرة من هذا القرن ، وخصوصاً ما كان يحدث فى أروقة الأزهر الشريف ، وفى إجراءات كل من الطريقة القياسية والاستقرائية فى تدريس النحو .

ب- المدخل البنيوى : The Structural Approach

ظهر هذا المدخل كرد فعل للمدخل التقليدى فى تدريس اللغة ، فقد كان هم الأسلوب التقليدى هو تحليل اللغة فحسب دون غيرها على حساب الاستخدام اليومى للغة . فلم يكن للطريقة التقليدية وظيفة فى حياة المتعلمين .

ونتيجة لظهور علم اللغة الوصفى الذى يعتمد على دراسة اللغة ووصفها كما هى ، وصولاً إلى الأنظمة المختلفة التى تُكوّن بنية اللغة . ونتيجة لظهور علم النفس السلوكى الذى ينظر إلىالتعلم على أنه لا يختلف عن تعلم أى سلوك آخر ... وأن جميع الأفراد يتعلمون كل

شيء بما في ذلك اللغة . ونتيجة للتطور الهائل في العلم والتكنولوجيا ..... كل ذلك أدى إلى انبثاق عدة طرق من هذا المدخل نوجزها فيما يلى :

١ – الطريقة المباشرة :

تعد هذه الطريقة رد فعل مباشر لإهمال اللغة الشفوية في تدريس اللغة ، وتقوم هذه الطريقة على افتراض أنه لا توجد علاقة بين اللغة والفكر ومن ثم كان الربط بين الألفاظ وما تشير إليه في الواقع بطريق مباشر هو أساس تعلم اللغة .

ويعتقد أصحاب هذه الطريقة أن المتعلم يتعرض لكمية ضخمة من الكلام المسموع– لهذا يتعلم اللغة –دون اللجوء إلى تعلم القواعد أو التقيد بها ودون تنظيم –محدد –للمادة التى يتعلمها .

وتتحدد ملامح هذه الطريقة – في تدريس اللغة – فيما يلى :

(ا) التركيز على اللغة الشفوية .

(ب) التركيز على اللغة التى يستخدمها الناس في حياتهم اليومية .

(جـ) تعلم الأشياء الجديدة من خلال الربط بين الرموز ودلالاتها ولفظها

(د) الاستماع إلى اللغة كما يتحدث بها أهلها .

(هـ) تعلم القواعد عن طريق الممارسة مع التركيز على القواعد التى تستخدم باستمرار في الحديث اليومى وتشجع الطلاب على استنتاج القواعد من التراكيب المقدمة إليهم .

ويؤخذ على هذه الطريقة أن الجمل المنتقاة للتدريب كانت تمثيلاً للتراكيب النحوية والصرفية التى يراد تدريسها فضلاً عن عدم ارتباطها بالمواقف الاجتماعية لاستخدام اللغة .

(٢) طريقة القراءة The Reading Method

ظهرت هذه الطريقة في الثلاثينيات من هذا القرن ، وتعتمد على نوعين من القراءة هما :

(أ) القراءة المُرَكّزة أو النظامية ، وتتم تحت إشراف المعلم في المدرسة . حيث يقرأ التلميذ فقرات صغيرة من موضوع قصير تدور حوله مناقشة.

(ب) القراءة الموسعة ، وتتم خارج الحجرة المدرسية ، ولكن تحت إشراف المعلم .

وكان التركيز في كلا النوعين على القراءه الصامتة ، أما الكتابة فكانت تقتصر على تدريبات تهدف إلى تدعيم تمكن التلميذ من المفرادات والتراكيب اللغوية التى تعلموها . أما دراسة القواعد فكانت مرتبطة بصفة خاصة بحاجات القارىء مثل مساعدته على معرفة بعض الصيغ *(على سلام ، ١٩٩٤ : ١٣٠-١٣١)*

(٣) الطريقة الإصلاحية .

تقوم هذه الطريقة على المزاوجة بين استخدام اللغة الشفوية والمكتوبة في تعلم اللغة التى يستطيع المعلم أن يستخدمها في إجراء التواصل اللغوى ، والمحادثة اليومية ، والموازنة

بين الجانب الشفوى والكتابى فى تعلم اللغة مع التدريب على النطق السليم ، ومراعاه النبر والتنغيم .

وتهتم هذه الطريقة بضرورة واقعية الموضوعات المقررة ؛ ولهذا فقد ظهرت قوائم يتعلمها الطالب وعلى أساس حفظه لها يمكن الحكم عليه بالجودة أو الرداءة . وتعتبر الكتابة من الأمور التى تهدف إلى تعزيز تمكن الطلاب من المفردات والتراكيب اللغوية التى تعلموها فى وقت سابق *(على سلام ، ١٣١:١٩٩٥) (نايف خرما وعلى حجاج ، ١٩٨٨ : ١٧٥- ١٧٦)*

٤- الطريقة السمعية الشفوية *Audiolingual Visual Methode*

ترجع أصول هذه الطريقة إلى أعمال البنيويين من علماء اللغة وعلماء النفس السلوكيين . وهى تقوم على افتراض مؤداه :

" أن اللغة مجموعة من العادات ، وعلى المعلم أن يعلم اللغة ذاتها ، لا أن يعلم معلومات حول اللغة وأن اللغة هى تلك التى يستخدمها أصحابها ، وليست الأنماط اللغوية المعيارية التى تفرض عليهم ، وأن اللغات تختلف فيما بينها "*(نايف خرما وعلى حجاج ،١٩٨٨ : ١٧٦- ١٨٧)*

وتتحدد ملامح هذه الطريقة فى تدريس اللغة فيما يلى :

(أ) التركيز على اللغة الشفوية ، وتقديم تعليمها على اللغة المكتوبة .

(ب) التركيز على اللغة الدارجة فى الاستعمال بدلاً من اللغة الأدبية ، وإعطاء الأولوية لمهارات الاستماع والتحدث واستخدام اللغة بدلا من تحليلها ، وممارسة اللغة فى مواقف شبيهة بمواقف الحياة الطبيعية (*Adamson , 1993 : 12 H.A.*) حيث يعتقد أصحاب هذه الطريقة فى " ان اللغة حديثاً وخطاباً (مُرْسِل- مُسْتَقْبِل) مجموعة عادات يمكن أن تمارس لكى تثبت " *(على سلام ،١٩٩٤ : ١٣٢)* . أما اللغة المكتوبة فهى لغة مصنوعة اتفق عليها الناس من حيث كونها رموزاً ليتمكنوا من التراسل ، وحفظ أفكارهم وتراثهم الثقافى *(على سلام ،١٩٩٤ : ١٣٢)* .

ولقد طورت الطريقة السمعية الشفوية فى أواخر الستينات ، وأوائل السبعينات من هذا القرن فى ضوء ما نادى به المعرفيون من علماء النفس ، ونتيجه لآراء تشومسكى مما أدى إلى :

(١) شرح القواعد اللغوية قبل التدريب على الأنماط اللغوية فى مضمون يشبه الاستخدام الحقيقى فى الحياة اليومية . وقد أدى ذلك إلى ظهور اتجاهين هما :

(أ)الاتجاه الأول : يقوم على الاستفادة من الأشياء المادية المَحَسَّة .والإشارة إليها عند تعلم النمط اللغوى ، أو القاعدة اللغوية ، وخاصة عند تعلم اللغة الأجنبية .

(ب) الاتجاه الثانى : يقوم على تعلم الأنماط اللغوية التى يمكن أن ترد فى الموقف الحياتية كأن يدرس الطالب زيارة للطبيب أو يذهب إلى المطعم ... من هنا يتعلم الألفاظ والتراكيب .

(٢) شرح القواعد اللغوية قبل التدريب على الأنماط اللغوية أو القراءة والمحادثة أو الكتابة (*على سلام ،١٩٩٤ : ١٣٢)*

جـ- *المدخل التواصلى :*

يستمد هذا المدخل أطره ، وأسسه من الدراسات اللغوية الحديثة ، وخاصة النظرية التحويلية التوليدية ، ومن تطور النظريات المعرفية التى تنظر للإنسان لاعلى أنه يخضع للمؤثرات الخارجية فحسب ، بل تنظر إليه على أن لديه قدرات ذاتية لا بد من إثارتها بكل ما فيها من طاقات ، وكذلك تستمد أطرها من نظريات علم اللغة الاجتماعى الذى يركز على القواعد والأساليب اللغوية المستخدمة فى المجتمع ، وعلى الوظائف التى تحقق من خلال ذلك *(على سلام ١٩٩٤ :١٣٤ -١٣٥) (نايف خرما وعلى حجاج، ١٩٨٨: ١٨٣-١٩٢)*

ويُعْنَى هذا المدخل بتدريس اللغة من خلال المواقف التعليمية والاجتماعية التى تجعل المتعلم يرغب ثقافياً واجتماعياً فى استخدام اللغة وذلك ضمن ما يعرف بالكفاءة التواصلية Competence Communication التى تشمل الكفاءة اللغوية ، فضلاً عن القواعد الاجتماعية لاستخدام اللغة ، أى أن الكفاءة اللغوية جزء من الكفاءة التواصلية الاتصالية . ومن ثم فإن تدريس الكفاءة التواصلية سوف يغطى الكفاءة اللغوية بوصفها جزءاً أساسياً .

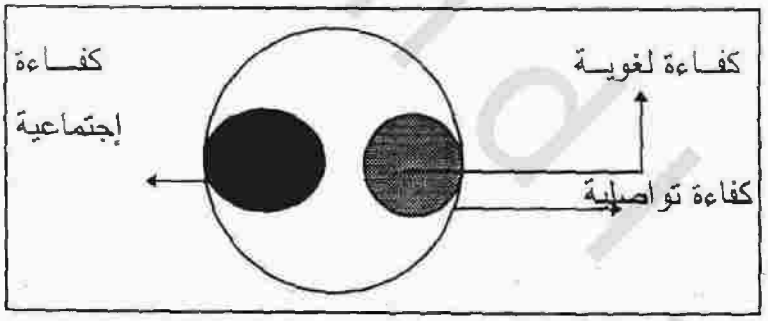

الشكل (٥) يوضح العلاقة بين الكفاءة التواصلية والاجتماعية

ويرى أصحاب هذا المدخل أن التدريس يقوم على المواقف الاجتماعية لا على القواعد وتحليلها ، ولكن دون إهمال للقواعد كلية ، وهم يولون اهتماماً خاصاً بالأنشطة التدريسية التى تحقق المواقف التواصيلية الحقيقية الواقعية ، مثل توجية الأسئلة وجعل المتعلم نشطاً ممارساً لدور الملاحظ والمستمع والمشارك ***(على سلام ،١٩٩٤ ١٣٤-١٣٥) (نايف خرما وحجاج ١٩٨٨ :١٨٨-١٨٩)*** وفى ضوء ما سبق فإن كاندلين وبرين ***(نايف خرما ،وعلى حجاج ، ١٩٨٨ : ١٨٨ - ١٩٢)*** يقترحان خمسة معايير لاختيار وتنظيم المحتوى للمادة التعليمية فى الطريقة التواصلية .

١- التركيز على المعرفة والنواحى الوجدانية للمتعلم .

٢- عرض المادة بطريقة دائرية ، وليس خطية تمكن المتعلم من تنمية معارفة وقدراته على استخدام اللغة ، وليس على تعلم اللغة كقوالب جامدة بمعنى أخر عرض المادة بحيث تعمل على تنمية وتعزيز قدرات المتعلم التواصلية .

٣- تقسيم وحدات التعلم إلى أنشطة لا إلى وحدات لغوية .

٤- استمرارية التعلم عن طريق الأنشطة المتعددة داخل الوحدة التعليمية الواحدة .

٥- قيام عملية التعلم على أساس تفاوضى بين متعلم ومتعلم أخر ، أو متعلمين آخرين ، وبين المتعلم والكتاب أو المادة التعلمية

يلاحظ فى ضوء ما سبق أن الطريقة التواصلية تتمحور حول التلميذ أو المتعلم .

د- مدخل اللغة ككل The whol langouge

" ظهر هذا المدخل فى الثمنينات من هذا القرن فى إطار الجهود المتلاحقة للبحث عن طريقة ملائمة لتعلُّم القراءة . فقد شهدت الستينات من هذا القرن وكذلك السبعينات - كما يقرر كالفى ودرام Calffe and Drum تطوراً كبيراً فى النظريات التى صُمِّمَت لوصف أداء القارىء الماهر بافتراض ضمنى مؤداه : أن اكتساب القدرة على القراءة يعتمد على التدريب المباشر على مهارات القراءة . وقد ظل هذا الافتراض يُعْمَلُ به طيلة القرن الماضى فى بحوث اللغة العربية حيث ظهر العديد من الأبحاث التى اعتمدت فى إطارها النظرى على هذا الافتراض *(على سلام ، ١٩٩٤ : ١٣٤)*

ويعرف ***كارل همسلفيد*** ***Carl Heymselfe d*** هذا المدخل قائلاً :" مدخل كل اللغة يقوم على جعل القراءة محوراً ، أو نشاطاً تحليلياً اكتشافياً As Aholistic Activity . فالقراءة داخل حجرة الدراسة تُعَالَج على كونها كل شىء ، ويتم فى تدريسها التأكد على المعنى بصورة جيدة *(Heymslefed , 1985 , 65)*

وأصحاب هذا المدخل ينظرون إلى القراءة على أنها نشاط كلى يتكامل من خلاله أشكال التواصل كالكتابة ، فمحتوى القراءة هو نفسه محتوى الكتابة(Carl Heymselfed , 1985 : 65)

ويستند هذا المدخل على الأسس التالية:*(Heymselfed , 1985: 63-66)*

(أ) نمو القدرة على القراءة والكتابة يعد أحد مظاهر النمو اللغوى ، فالأطفال يكتسبون القدرة على القراءة والكتابة بنفس القدرة على التعبير الشفوى .

(ب) أن الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة تعد مظاهر متصلة النمو للغة ، وليس هناك سبب للتركيز على أحد هذه الأوجه لتنميتها قبل بقيتها .

(جـ) أنها تقوم على تعلم مهارات القراءة بصورة مباشرة ذو معنى من خلال نص جيد Authentic text ذي صياغة جيدة.

وعلى الطالب هنا وفق هذا المدخل أن يُحَدّد المهمة التى يقوم بها والمواد التى يقرأها ، ودور المعلم هنا يُمَثَّلُ فى :

(ا) تجهيز مواقف مُدَعّمة فى حجرة الدراسة .

(ب) تشجيع الطلاب على تحديد ما يقرأون أو يكتبون .

(جـ)المهام كلها وظيفية وذو معنى .

(د) على المعلم عدم إجبار الطلاب على عمل شىء لا يرغبون فيه إنما دوره كمُعِين أو مساعد Tutor فى تفسير النص فقط ***(على سلام ، ١٩٩٤ : ١٣٩)*** .

" وقد قدم ***إمج وإستيتون*** ***Emig and Easton*** نموذجاً لتعلم الإنشاء Composing " يتضمن ثلاث خطوات تشمل ممارسة كل فنون اللغة .

(أ) الخطوة الأولى

تتضمن مناقشة بين الطلاب فى حجرة الدراسة حول كيف يصوغون أفكارهم على الورق ، ثم يستمعون إلى نموذج مسجل على الكاسيت .

وتهدف هذه الخطوة إلى : تنبيه الطلاب إلى ملاحظة السلوكيات الهامة وغير المهمة فى الإنشاء .

(ب) الخطوة الثانية :

وتتضمن مناقشة قائمة من الأنشطة التى تمثل جزءً من عملية الإنشاء مثل التخطيط ، التعليق أو صياغة أسئلة أو تقييم موضوع منشور فى جريدة أو مجلة .

(جـ) الخطوة الثالثة :

وهى تتضمن الواجب المنزلى Homework حيث يطلب من كل تلميذ كتابة موضوع صغير ، وتدوين قائمة بكل الأنشطة الإنشائية كما حدث بالفعل ، أو الإنشاء بصوت عال مسموع مسجل على شريط كاسيت (على سلام ،١٩٩٥: ١٤٠)

هـ- المدخل القائم على المحتوى Content Based Instruction

لهذا المدخل مسميات عديدة نجدها مبثوثه فى ثنايا الكتب المهتمة بتدريس اللغة منها على سبيل المثال :

1- Content Based Languge (Deborah .J, 1993)
2- Theme Based Course (H.D Adamson , 1993, 120)
3- Longuae Though Content cours (H.D Adamson 1993 , 115)
4-Longuage Through liter ture (Alean Hirvela , 1990 : 239) (Callir Kramsch : 1985),
5- (Sandra Harpar , 1988: 40)

تمثل المسميات السابقة أحدث مدخل فى تدريس اللغة بصفة عامة والقواعد بصفة خاصة . وقد ظهر هذا المدخل نتيجه لتطور الأبحاث التربوية واللغوية فى السنوات العشر الأخيرة ***(Harper (Sandra , 1988 , 402) ، (Deborah . J , 1993 , 627)***

وهذا المدخل يقوم على ترغيب المتعلم فيما يتعلم وتشجيعه ، فهو يختار ما يود دراسته، ويركز فى نفس الوقت على مهارات الاتصال ، انطلاقاً من النزعة الإنسانية التى تقوم على دافعية المتعلم فى حب اللغة ودراستها ، وتعده لمعرفة ثقافة المجتمع الذى يدرس لغته *(Alean Hirvela , 1990 , 239)* ، ويتخذ هذا المدخل من الأدب المحتوى الأساسى فى التعلم سواء أكان هذا الأدب شعراً Poetry أو نثراً Prose . لأن تعلم اللغة من خلال الأدب يُعَدّ متعة وتعلم فى نفس الوقت.

وتتضح فى هذا المدخل النزعة الإنسانية بصورة واضحة .

وأصحاب هذا المدخل والمدافعون عنه يرون أن مبررات قيامه على الساحة التربوية تنبع من الآتى: *(انظر Deborah .J ,1993 ,627 - 630)*

١- أن طرق التدريس المختلفة تعتبر المُعَلّم هو خازن المعرفة ، وهو القائم بكل شىء فى المواقف التعليمية . أما هذا المدخل فإنه يعتبر المعلم مرشداً ومعاوناً للتلاميذ فى أثناء تعلمهم للغة *(نايف خرما ، على حجاج : ١٩٨٨/ ١٨٧)*

٢- أنها تقوم على أساس التدريس التفاعلى ، واتخاذ ذلك المدخل طريقة التدريس التفاعلى نابعاً من عدة مبررات :

(أ) أن العديد من برامج تعلم اللغة تتجاهل استراتيجيات هامة مثل الأسلوب التفاعلى بين المعلمين ، والنص اللغوى أو التفاعل بين الطلاب والمحتوى .

(ب) أن مفتاح ذلك المدخل المبنى على الموضوع Theme هو مفهوم التكامل بين فنون اللغة وعدم التركيز على النحو أو القواعد على الرغم من أن العديد من المقررات المبنية على هذه الطريقة تعتمد أساساً على القراءة أو الكتابة لبعض النصوص ، فاكتساب القدرة اللغوية تأتى من دراسة النص لا من دراسة النحو (*)

أن القراءة أو الكتابة التى تقوم عليها هذه الطريقة تكون من أجل دراسة واكتساب المهارات اللغوية كالقواعد اللغوية أو مهارات الحديث أو الكتابة ..وأن أنشطة القراءة والكتابة تكون ذا معنى لأنها تمد المتعلمين بما يحتاجون من لغويات

جـ- أن هذا المدخل أساساً يقوم على النزعة الإنسانية ، والتدريس التواصلى ، فالنص يدرس بطريقة محورية .

٣- ينبغى التركيز الآن على القدرات السماعية (**)

٤- أن الأسلوب التفاعلى فى تناول النص يقوم على أساسين هما :

(*) وهذا ما قصده ابن خلدون عندما تحدث عن المعلم بالكيفية لا النفس كيفية،انظر صص (٤٥ - ٤٦)

(**) لقد سبق ابن خلدون أصحاب هذا المدخل حيث قال من قرون خلت " السمع أبو الملكات " وكان يركز عليه أثناء حديثه عن كيفية تكوين الملكة اللسانية "

(أ) " أن يُدْرَس النص بصورة متعمقة – متدرجة – ولا يترك جزء فى النص إلا ويتم تحليله "
(ب) التعمق فى النص يمد المتعلم بالعناصر اللغوية .

الأسلوب التفاعلى يقوم على عدة أسس (H.D Adamson ، 1993 : 115)

أ– أن التفاعل بين المعلم والمتعلم يعطى للمعلم الفرصة للتعرف على بعض ما يحتاجه متعلموه وما يريدونه ، وما ينبغى أن يفهموه . ومن ثم كان عليه تحديده ، وتدريسه لهم "

ب– أن ملاحظات المعلم المستمرة القائمة على التفاعل بينه وبين تلميذاته –كما ثبت من الأبحاث – تجعله يحصل على صورة أكثر وضوحاً لما ينبغى أن يحتويه المقرر من موضوعات ، غالباً ما تكون مناسبة ، بل وتعطيه فكرة أكثر وضوحاً لما ينبغى أن يفهمه المتعلم ."

جـ–أن التدريس التفاعلى يتم فى مناخ واقعى يعتمد على نصوص أدبية تحتوى على معارف اجتماعية وأدبية تهيىء التلاميذ ليصبحوا أفراداً فى مجتمع مطالبين بمراعاة تقاليده وأعرافه ، ليصبحوا أسوياء فيه : فالطريقة التفاعلية توضح للتلاميذ بعض الأدوار الاجتماعية التى ينبغى أن يكونوا عليها "

د– أن تدريس اللغة من خلال النص الأدبى يؤدى إلى نمو الفهم وتقدير الأدب .

هـ– أن هذا المدخل يتخذ من المتعلم محوراً يدور حوله ، وفى نفس الوقت تسعى لتشجيع شخصيته ، وفى نفس الوقت تراعى ما يحتاجه وما يرغب فيه كطالب ، كل هذا يدور فى فلك النزعه الإنسانية التى يبنى عليها ذلك المدخل (*H.D.Adamson , 1990 , 69*)

و– أن الفلسفة الإنسانية تقوم على أن كل فرد له قدراته الخاصة ، فهى تأخذ المتعلم لا كفرد يخضع لمؤثرات خارجية فحسب ، بل كإنسان له قدراته الذاتية التى لا بد من إثارتها بكل ما فيها من طاقات " فالإنسان كائن منظم لذاته بطبعه ، وليس واقعاً على الدوام تحت رحمة العوامل والمثيرات الخارجية ***(نايف خرما وعلى حجاج ، ١٩٨٨/ ١٨٧)***

ي– أن هذا المدخل المتميز بدراسة النصوص الأدبية يقوم على توقعات المتعلم وخبراته ليزيد وينمى مهاراته اللغوية ومعرفته اللغوية من خلال تفاعله مع النص بالإضافة للأنشطة الأخرى (*Diane W. Birckbichler and Judith A. Muyskens , 1980 , 23- 27*).

أ – المحتوى فى ظل المدخل القائم على المحتوى :

يعتبر النص الأدبى Athuntic Text هو المحتوى الذى يقوم عليه ذلك المدخل ، وهذا يعد من الاتجاهات الحديثة فى تدريس اللغة ، فمعهد جوته على سبيل المثال نظم عدداً من ورش

العمل والسمينارات التى تدور حول تدريس اللغة من خلال النص الأدبى (*) مما أدى إلى إصدار كتب تدور حول تدريس اللغة من خلال النص الأدبى من أشهرهم وأحدثهم كتب شيدت " Sheidt " (Claire kramsch , 1985 , 64)

والواقع أن هذا المدخل يتخذ من النص الأدبى وسيلة لتحقيق أهدافه وذلك راجع إلى :

١- أن تدريس اللغة من خلال نص أدبى يقدم للطلاب جرعة اجتماعية لغوية ، فالدراسين يفهمون النص كما يفهمون أنفسهم فهم يقرأون ويكتبون حوله (Clair Kramsch , 1985: 364)

٢- أن تدريس اللغة من خلال النص الأدبى تعطى للطلاب واقعية اجتماعية وكذلك تبنى لديهم حساسية جمالية ، وتقربهم من علم الجمال ، فهم يتفاعلون مع النص تفاعلاً جيداً من خلال قراءته ، القراءة حوله ، الاستماع لوجهات النظر حوله أو الكتابة حول النص بصورة فردية (Dain .W , and Judith A, 1980 ; 25) (Clair Kramsch , 1985 : 364)

٣- أن تدريس اللغة من خلال نص أدبى تعتبر جيدة من عدة نواحى :

(أ) إنها تفهم الطالب فنون اللغة داخل مثال حى غير تقليدى .

(ب) إنها تمده بالعناصر الأسلوبية واللغوية الجيدة التى تساعده عند البدء فى كتابة موضوع معين(**)

(جـ) تكسب الطالب حساً جمالياً .

(د) يكتسب القدرة اللغوية بعيداً عن الطرق التقليدية ، فهو يكتسب النحو لامن قواعده Rules بل من خلال لغة حية يفهمها (***) ويقرأ حولها بصورة متكاملة .

(*) لقد سبق ابن خلدون (Sandra harpar ,1985 :364) بقوله " إن فن الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب ، لهذا جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم وأصلاً يرجعون إليه فى كثير من علومهم ... والملكات اللسانية كلها إنما تكتسب بالصناعة والارتياض فى كلامهم حتى يحصل شبه فى تلك الملكة " (ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤ / ١٤١٠) ويقول فى موضوع أخر مؤكداً على اتخاذ كلام العرب محتوى دراسى لاكتساب الملكة اللسانية " تحصل هذه الملكة بحفظ كلامهم -أى كلام العرب وأشعارهم .. والمداومة على ذلك حتى يُحَصَّل الملكة (ابن خلدون ، ١٩٦٨ ،جـ٤ / ١٤٠٠) ويقول فى موضوع أخر :" إن الملكة اللسانية إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكراره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه" (ابن خلدون ، جـ٤ : ١٩٦٨ / ١٣٩٩)

(**) يقول ابن خلدون : معبراً عن استفادة المتعلم من كثرة اطلاعة على آداب العرب والتفطن لخواصها التركيبية وكيفية اقتباسه مما سمع أو حفظ :" وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب ، وأشخاصها ، ويصيرها فى الخيال كالقالب أو المنوال ثم ينتقى التراكيب الصحيحة عند العرب ، لا باعتبار الإعراب والبيان فيرصها رصاً كما يفعله البناء فى القالب أو النساج فى المنوال حتى يتسع القالب بخصوص التراكيب الوافية بمقصود الكلام ؛ ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربى فيه " (ابن خلدون ، ١٩٦٨ :جـ٤ / ١٤١١)

(***) يقول ابن خلدون فى ذلك : إن الملكة اللسانية تحصل بممارسة كلام العرب شعراً أو نثراً وتكراره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه ، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية فىذلك التى استنبطها أهل صناعة اللسان (النحاة)، فإن هذه القوانين إنما تفيد علماً بذلك اللسان ، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل فى محلها (ابن خلدون ،١٩٦٨ : جـ٤ ١٣٩٩-١٤٠٠) . ويقول فى موضوع أخر : لا تحصل هذه الملكة من القوانين المسطرة فى كتب النحاة . إنما تحصل بالممارسة والاعتياد والتكرار لكلام العرب (ابن خلدون ، ١٩٦٨ ،جـ٤ / ١٤٠١)

ب :طرق تناول النص الأدبى وفق هذا المدخل :-

إن دراسة اللغة من خلال النص الأدبى إنما يتم على مراحل أو خطوات عديدة أهمها مرحلة التفسير وفيها يحدث الآتى :

١- يتم تحليل مكونات النص والتعرف على ما فيه من قواعد نحوية وصرفية وصوتية ووقفات دلالية أو بلاغية . أى أن النص يتم تناوله بصورة تكاملية .

ومرحلة التفسير هذه تتم فى سياق اجتماعى ، لأن النص يتحدث عن مجتمع وإلى المجتمع ، فالتلميذ جزء منه .

٢- التدريب على المهارات الشفهية وهى تتم عبر عده مراحل هى :

(أ) التفسير وفهم النص .وخلالها تتضح التراكيب النحوية .

(ب) مراعاة خلفية المتعلم وقدرته اللغوية .

يفرق **بول ريكور** " **Poul Ricoerur**" بين التفسير للنص ، وتفسير النص فيقول : إن التفسير للنص يتجه مباشرة ناحية التركيب Syntax أما تفسير النص يتجه فيه القارىء مباشرة ناحية تحليل البنية داخل النص لفهم اللغة من خلال التعرف على المفردات ومعانيها (*Claire Kramsch , 1985 , 357*)

والواقع أن بعض الكتاب استخدموا - فى هذا الصدد - مصطلح القارىء الضمنى وهو اصطلاح أطلقه " ر ويرت سى هول " قاصداً به : التفاعل بين العمل الأدبى والقارىء الذى يميل للعمل الأدبى ويتجاوب معه باستمرارية القراءة ، لأن جذور القارىء الضمنى توجد بثبات فى بنية النص (*روبرت سى هول ، ١٩٩٥ ، ١٠٣-١٠٤*)

ولحداثه هذا المدخل وشيوعه فى مجال تدريس اللغة فإن كثرة من المتحمسين لهذا المدخل أوجدوا عدة استراتيجيات لتوضيح كيفية تعلم اللغة من خلال النص الأدبى .

جـ : استراتيجيات دراسة اللغة من خلال النص الأدبى :

١-إن طريقة التدريس فى هذا المدخل تعتمد على الأسئلة Questions هذه الأسئلة تقدم فى نموذج اقتراحه كل من *ريتشارد بيتش ومارا مارتز* " ***Richard Beach and Mara Mertiz*** " وهذا النموذج المقترح يتكون من أجزاء ثلاثة (Daine .W.and . Judith A , 1980 , 24-25)

١- المعايشة والارتباط بالنص Involvment , Engagment

٢- تفسير العمل الأدبى Interpretition

٣- التقويم Evaluation

وكل خطوة من هذه الخطوات تعتمد على عدة أنشطة صفية كالربط والتكملة .... وكل خطوة من هذه الخطوات أو الأنشطة تعتمد على السؤال فالسؤال أساس هذا المدخل (*) عند تدريس اللغة .

١- **فى خطوة المعايشة** **Involvment , Engagment**

يحاول المتعلم أن يتعرف على ما يحتويه النص من أحداث وأفكار وشعور (عاطفة)... وهو يماثل بين العلاقات المتواجدة داخل النص وحياته بصفة خاصة .

٢- **خطوة تفسير العمل الأدبى** **Interpretation**

يطابق الطلاب بين دوافعهم ويحاولون التنبؤ بما يريده الكاتب من هذه العمل وهم فى نفس الوقت يكتسبون معارف عديدة من خلال ما يعبر عنه المعنى من أجل استخدام هذه المعانى فى سلوكياتهم اللغوية ، فإن العمل الأدبى الجيد يكون ذا دلالة عندما يتأثر به المتعلم .

٣- **خطوة التقويم :** **Evaluation**

يحكم الطلاب على قيمة العمل الأدبى ودلالته اللغوية ومدى إمكانية حدوث بعض المعلومات الواردة بالنص وآراء الطلاب تتبع إما من تقديرهم الذاتى أو مدعمة بمصادرها الخارجية .

إن نقد الطلاب للعمل الأدبى انما مرجعه إلى أنهم يقرأون العمل الأدبى ويستمعون إليه. ومن ثم فهم يكونون فكرة عن النص الأدبى تمكنهم من توجيه بعض النقد أو إبداء الرأى حول ما قرأو أو سمعوا وذلك من خلال بعض الأنشطة الملحقة (*H.D., Adamson 1993 , 122*)

د- : تصميم المقرر تبعاً لهذا المدخل يأتى من خلال الترتيب الآتى :

١- تقديم النص مقروء يعقبه بعض الأسئلة .

٢- قراءة المعلم المعلم للنص .

٣- استماع التلميذات للنص .

يعقب هذه الخطوات ما يلى :

أ- أسئلة تدور حول النص .

ب- قراءة الطلاب حول الموضوع المقدم .

ج- شرح الموضوع المقدم شرحاً وافياً ويتم ذلك من خلال قراءة التلميذات الخارجية بإرشاد المعلم . وحديث المعلم لطلابه من أجل توضيح أهم النقاط فى النص ، ثم استماعه لوجهات

(*)أكد ابن خلدون أكثر من مرة على ضرورة أن يتجاوب المتعلم مع معلمه ويتفاعل معه من خلال طرحه الأسئلة يقول فى ذلك: " وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة"،المناظرة فى العلم سمة إسلامية ورثناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعظم أحاديثه – إذا أراد أن يُعلّمنا شيئاً – نبدأ بالتساؤل مثل قوله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما حق الجار ؟... وقوله : ما تعدون الصُّرَعَة فيكم ..؟.. وقيل : السؤال نِصْفُ العِلْم . فهذا المبدأ قد سَبَقْنا به – منذ قرون خلت – المعاصرين . فليتنا نعود إلى أصولنا متمسكين بكل ما هو جديد مفيد ."

نظر طلابه بعد أن قرأوا واستمعوا حول النص . يختم ذلك كله بإعداد اختبار حول النص يكون على هيئة تقويم مكون من جزأين يتم أحدهما داخل الفصل الدراسى والآخر بالمنزل ثم يقوم المعلم بتصويبهما

د- يتحدث الطلاب من خلال ما كتبوه حول الموضوع على هيئة تعبير تحريرى ، أو تعليق ، وهذا يتم من خلال تقسيم الطلاب إلى مجموعات - تتفق فى وجهات النظر - كل مجموعة تتحدث عن شيء معين فى الموضوع الذى درس .

إن الطالب هنا يكتسب اللغة والنحو بطريقة فعالة غير مباشرة بصورة تتمركز حول المتعلم لا حول اللغة بصورة سلوكية أكثر منها معرفية .

وقدمت ساندرا هاربر *Sandra Harper* استراتيجية أوضحت فيها - كيف يمكن أن يتم تعلم اللغة من خلال نص أدبى ويمكن عرض هذه الاستراتيجية فى السطور التالية *(Sandra Harper , 1988 , 403 - 407)*

[١] أنشطة ما قبل التفسير (أنشطة تمهيدية أولية للمعلم)Preinter pretation Activities

هذه الخطوة تقوم على أربعة أبعاد :

(أ) بناء الخلفية المعرفية : Establishing Acommon Background

والخلفية المعرفية يقصد بها إعداد الوسائل المعينة كالوسائل السمعية والبصرية ، والأنشطة اللغوية ، وإعداد المحاضرات ويؤكد *" كارمش"* على أن هذه المعرفة الأولية يمكن أن تقدم من خلال كتابة شفافيات ، أو بعض الأفلام التى تعطى نبذة مختصرة عن المؤلف وعن موضوع النص وعن التجربة الشعورية التى انتجت هذا النص ، وهناك سلسلة تسمى سلسلة الإنسانيات The humanitisties وتعتبر مثل هذه الوسائل من التواصل المبدئى Intitalcontact فَيَسْهُل علي المتعلم فهم اللغة الأدبية والأفكار ، بل إن هذا يمد المتعلم بالعصف الذهنى للمفاهيم المقدمة إليه . فتتكون لديه معانى مختارة ومفاهيم مهمه تعينه على فهم العمل الأدبى .

ب- الأنشطة اللغوية Linguistic Activities

لا يتوقع من الطلاب أن يناقشوا النص أثناء فهمهم له ودراستهم له - شخصياً - بصورة فردية . إن المعرفة اللغوية السابقة تعين المتعلم على فهم المادة المقدمة إليه .

وتتضمن الأنشطة اللغوية بعض التدريبات كالكشف فى المعجم والنحو ، والدلالة ، الاستبصار فى النص ، بمعنى معرفة ما يحتويه النص من مفاهيم والدلالات الثقافية المتضمنة بالنص والأنشطة اللغوية - تعطى للطالب الثقة فى نفسه وتوضح له كيفية استيعابه المبدئى داخل الفصل الدراسى وتساعده على القراءة الحرة Liberated Reading وقد أقترح *" سينالى ووليام "* *Sinalli and William* نموذجاً فى الشعر الذى يدرسه الطلاب ، فمن خلال هذا النموذج يمكن إدراك وفهم العمل الأدبى ، ولغته الموحيه . Figurativelanguage من خلال دوافع

الطلاب نحو العمل الأدبى ، فهم يختارونه بالإجماع ومن خلال خبراتهم اليومية ، والدوافع نحو العمل الأدبى . كل هذه الأمور تساعد المعلم فى إعداد الأنشطة اللغوية المناسبة .

(جـ) بناء الفهم وترسيخه EsTablishing Comprehension

من الضرورى أن ترسخ لدى الطلاب فهم النص ، ولا سيما فى المستويات الأولى قبل عملية التفسير ، وفى هذا يشير ***ستينر*** *Steiner* إلى ضرورة إلمام المتعلم بالنص ، وأن يكون قادراً على التعبير باختصار عما يقوله العمل الأدبى ، وهناك بعض الأنشطة المتنوعة مثل :

١- تعريف الطالب بأهم الفقرات الأساسية فى النص ، بمعنى أخر توضيح الفكرة العامة فى الأبيات والأفكار الجزئية فى كل مقطع من مقاطع القصيدة .

٢-اختيار المفردات من الفقرة الأولى من النص تلك التى يمكن من خلالها فهم المعنى فى الفقرات التالية .

(د) *تصميم بعض الأسئلة*

وهذه الخطوة هدفها:تسهل الفهم قبل القراءةإن مثل هذه الأسئلة تعين الطلاب فى تحديد النقاط الهامة فى النص وهى على أنماط متعددة :

١- اسئلة على صورة ملأالفراغات أو الإكمال ، هذه الأسئلة تدور حول النص .

٢- تقديم أسئلة على صورة صح (✓) وخطأ (×) True and false Items

٣- أسئلة اختيار من متعدد .

٤- مناقشة الفصل وتكون على هيئة تبادل الأدوار كأن يقوم التلميذ بتمثيل النص .

ينبغى على المعلم أن يعد هذه المعرفة اللغوية للطلاب فى وقت مناسب " Adaquat Time " وهذا يتطلب بث الثقة فيهم ، وإفهما مهم ما صعب عليهم ، مما يعينهم على فهم اللغة وهناك أنشطة أخرى مثل :التركيز على المعنى والبحث فيه ، مثل هذا الإجراء يساعد الطلاب على اكتشاف المكونات النصية الضرورية لتقديم تفسير مقبول . فمناقشة العنوان قد يهديهم إلى بعض الأفكار أوالعناصر التى توضح لهم ما ينبغى أن يتنبأوا به من أفكار أو عناصر أسلوبية تيسر لهم العمل الأدبى كالمترادفات والتضاد فى المعنى .... كل هذه الأشياء تساعد الطلاب ليس فقط فى اكتشاف الأنشطة التى ينبغى أن يقوموا بها، بل أيضاً فى تعزيز الخبرة الأدبية ، وتنمية القدرات الإدراكية وتزيد قدرة الطلاب على الاحتفاظ بالمعلومات .

المرحلة الثانية من استراتيجية ساندراهاربر :

[ج]مرحلة التفسير Interpretation

إن تفسير النص الأدبى أمر مهم وينبغى أن نفهم بجدية دور كل من المعلم والمتعلم، فالمتعلم يأخذ حداً أقصى من التعبير وتفسير النص وما المعلم إلا مرشد أو موجه لطلابه ، فالمتعلم يقدّم التفسير الشخصى إما أن يكون تفسيره ذاتياً أوراجعاً إلى جماعة الرفاق بالفصل

فَهْم يمدونه برؤية أو حُكْم معين على النص الأدبى ، وعلى المدرس أن يستعرض آراء طلابه ، وأثناء عرض كل فريق يقوم بتدوين أهم النقاط – لكل فريق – على السبورة ثم يقارن بينهما . ويؤكد ميد " Mead " على ضرورة أن يقدم المعلم لكلا الفريقين النقد البَنَّاء من خلال توضيح بعض الأمور بالنص ، ويقول "ميد" :" إن مثل هذا الأسلوب داخل الفصل الدراسى يضمن للتلميذ فهماً أكثر ومدى أوسع لقراءة العمل الأدبى ، إذ أن كل فريق يؤكد حجته من خلال الرجوع إلى النص الأدبى ذاته ، فالطالب يعرض وجهة نظره من خلال قراءة النص مرة أخرى. وكذلك الطالب المعارض يقدم وجهة نظره المُعَارِضَة بالعودة إلى النص ليدعم حُجّتَه " وينبغى أن نعترف أن المعلم هنا يتعلم من طلابه ، فهو يتعرض لتفسيرات عديدة، قد تكون صواب أو خطأ ، ولكن هذه التفسيرات تعطى المعلم درجة عليا من فهم النص وكذلك إفهامها للطلاب " (*Sandra , 1988: 405*)

دور التلميذ

١- إعادة الكتابة حول النص ، أو جزء منه .

٢- الأداء الشفوى ويتضمن تسجيل صوتى أو مرئى للعمل الأدبى المقروء .

٣- مقابلات شخصية لشخصيات رئيسية يسألون حول النص .

٤- عمل تبادل الأدوار حول النص .

٥- عمل حلقة أو دائرة مستديرة لمناقشة العمل الأدبى .

وهذه الأنشطة المعينة فى مرحلة التفسير قد اقترحها كل من ***بريكلبيشلر وميسكنس*** *"Birckbichlerand Myuskens* (*Sandra , 1988 : 405*) . ويؤكد كل من بريكبيشلر وميسكنس على أن التفسيرات التى يأخذها المتعلم ثم يعيد صياغتها ليقدم فى النهاية تفسيره الذاتى المتفرع عن الآخرين ، هذا الإجراء يسهل عليه فَهْم النص فهماً جيداً .

إن الأبحاث الحالية Current Research أوضحت أن القراءة والفهم بينهما عملية تفاعلية . ذلك ما جعل البعض يطلقون مصطلح " القارىء الضمنى " المتمثل فى خلفية القارىء المعرفية والتفاعل مع النص ، فهو يجمع خلفيته المعرفية مع معارفه اللغوية الجديدة ، لتشكل فى النهاية فهماً جديداً للنص . يقول *" روبرت سى هول :"* إن عملية التفاعل بين القارىء والعمل الأدبى تخلق ما يمكن تسميته : الذاكرة المتحولة وهو مصطلح يقصد به الاستمرار فى قراءة نص ما يؤدى إلى الاستمرار فى تقسيم وإدراك الأحداث بما يتناسب مع توقعاتنا – كقراء- عن المستقبل وضد خلفية الماضى ، وأن حدثاً غير متوقع يسبب لنا إعادة التشكيل لتوقعاتنا بما ينسجم مع ذلك الحدث وإعادة تفسير الدلالات التى استخلصناها مما حدث.وهكذا فإن الرأى التساؤلى يسمح للقُرَّاء فى التجوال عبر النص " ***(روبرت سى هول ، ١٩٩٥ : ١٠٩)***

ولهذا فإن تفسير النص ومطالبة المتعلم بضرورة الاستمرار فى قراءة النص أكثر من مرة يعتبر من الإجراءات الرئيسية فى الموقف التعليمى داخل الفصل الدراسى . وعلى المعلم أن يقدم نوعاً من النقد البَنَّاء Sort of constructive Criticism ليحصل على استجابة جيدة وليقدِّم للمخطئين من الطلاب فى فهم النص تفسيراً مقبولاً - يتصف بالصدق - وعلى قدر عال من الذوق .

ويمكن إيجاز دور المعلم فى هذه " الاستراتيجية " على النحو الآتى :

١- تقديم نوع من النقد البناء .

٢- تشجيع المتعلم وتهيئة جو التعلم .

٣- يُدَرّس المعلم ويعلم طلابه البنية النحوية ، والصيغ اللغوية الموجودة بالنص .

٤- يُفَسّر المعلم القيم والمعتقدات المتضمنة داخل النص ، وهذا يتم من خلال المناقشة المفتوحة ، والتفاوض حول المعنى . فكل مناقشة يمكن أن تعود على المتعلم بالإدراك الجيد للنص وفهمه

٥- إعطاء الفرصة الكافية لكل متعلم ، لكى يعبر عن نفسه عند تفسيره للنص . وليعلم المعلم أن هذا التفسير الذى يصدر عن المتعلم ليس ببعيداً عنه ؛ لأن المعلم هو الأساس فى هذا التفسير والمرشد للمصادر الخارجية المعينة - للطلاب - على فهم النص ، ومن ثم كان على المعلم يصوب كل خطأ.

٦- تقديم الأسئلة ذات النهايات المفتوحة التى قد تبدأ بماذا .....؟ لماذا ..... ؟

٧- تدوين استنتاجات الطلاب على السبورة ، وهذا يعطى للطلاب فهماً وإدراكاً واسعاً حول النص

وقد اقترح *ميد* " *Mead* " تكنيكاً معيناً يدور حول جماعة الرفاق . حيث يقسم الفصل لأكثر من مجموعة تتفق فيما بينها . والمعلم هنا هو مسيطر وموجه للموقف التعليمى .

المرحلة الثالثة والأخيرة من " استراتيجية " ساندراهاربر .

- مرحلة التركيب " Synthesis "

فى هذه المرحلة الأخيرة من تدريس اللغة من خلال النص نجد أنه من الضرورى إعادة تركيب النص بعد تحليله من قِبَل التلميذ . فقد جُزِّىء العمل الأدبى إلى مقاطع أو وحدات بغرض تحليله.والعديد من مدرسى الأدب ونقاده يؤكدون على ضرورة إيجاد أنشطة تعليمية تعمل على تقديم النص كتصور متميز فريد بصورة كلية مناسبة فى أجزاء متتابعة يُبْنِى كل جزء على الأخر ، ليقدم للدراسين فى النهاية تصوراً موحداً من هذا التحليل الأدبى للنص ، ومن الضرورى أن نجعل المتعلم يرى العمل الأدبى من وجهة نظره هو بصورة حكيمة بعيدة عن المغالاة أو الانحراف، فإن فَهِمَهُ بصورة جيدة ، فإننا هنا يمكننا القول: إن الطالب استوعب

النص استيعاباً تاماً ، هذا الاستيعاب يجعل الطالب قادراً على أن ينظر للأشياء وإلى نفسه نظره مغايرة عما كانت من قبل .

ومرحلة التركيب تعتمد على أنشطة متعددة تتضمن اختبارات الورقة والقلم ، وأنشطة صفية ، ووسائل سمعية وبصرية أو قد يتضمن الآتى :

١- أن نسأل المتعلم أسئلة حول المؤلف .

٢- تقديم أحكام مثل (أوافق ، لاأوافق) حول النص .

٣- أنشطة جماعية مثل تقديم آرائهم حول أسلوبية النص أو محاولة تقليد أسلوب النص، وهذا من خلال مخطط مكتوب Outline

٤- تجزىء النص والحديث حوله ... وهذا يتطلب فهماً جيداً لأحداث النص ، وعناصره .

٥- كتابة نص حول كاتب معين أو حول الكاتب نفسه ثم يتم عرض ما كُتِبَ على الطلاب- زملاء المتعلم - فيقدمون تعليقات مكتوبة أو شفهية حول النص . وهذا فى الواقع يعين الطلاب على التعبير المتكامل Complex فهم يعرضون أفكارهم على هيئة أسئلة ثم يجيبون عنها واحد تلو الأخر .وهذا يؤدى بالطلاب إلى تركيب عناصر النص مرة أخرى ، ولكن بصورة بعيده عن المعلم .

٦- تقديم فيلم أو أى وسيلة تعليمية أخرى تماثل النص المُقَدَّم ، ثم يتم عمل مناقشة تدور حول ما تم مشاهدته أو الاستماع إليه .

٧- يطلب من التلاميذ أن يكتبوا خطاباً للمؤلف يعبر كل واحد فيهم عن رأيه فى النص ، وليعلم المعلم أن هذا النشاط - تعبير التلاميذ أنفسهم حول النص - يمد طلابه بسمات أسلوبية وبتحليل لغوى أحسن من شرح المعلم نفسه ، فكل منهم له أسلوبه ورؤيته المتميزة فقد قيل : الأسلوب هو الرجل .

إن مثل هذه الأنشطة تعتبر وسائل معينة فى تشجيع الطلاب على استيعاب النص ، وتقدم لهم نظرة ذاتية موضوعية للنص الذى يدرسونه .

وترى ساندرا هاربر أن مثل هذه 'الإستراتيجية ' لها مميزاتها التى تجعلها جيدة . هذه المميزات تتمثل فيما يأتى :

١- أن هذه الإستراتيجية تجعل الطالب على صلة أكبر من بالنص ، وتقد م له درجة كبرى من التفرد فى فهم النص المُقَدَّم وبالتالى فى فهم اللغة بصفة عامة ؛لأن النص يحتوى على لغة.

٢- هذه الإستراتيجية " تحث المتعلم وتساعده على التعبير عن شعوره بالعودة للعمل الأدبى من خلال تحليله له ، وتقديم الحجج والأدلة المدعمة لآرائه حول النص .

٣- هذه الاستراتيجية ' تساعد المتعلم على فهم التراكيب النحوية داخل مثال حى - نص أدبى- غير تقليدى بعيداً عن القواعد والترجمة (*)

تعقيب :

وخلاصة القول أن هذا المدخل بصورة عامة وجميع استراتيجياته بصورة خاصة تنطلق من الطريقة التفاعلية التى تقوم على بعض الخطوات الآتية ***(نايف خرما ، على حجاج ، ١٩٨٨ : ١٨٨-١٨٩)***

١- التركيز على المعرفة والنواحى الوجدانية الهامه للمتعلم .

٢- عرض المادة بطريقة دائرية ، وليس بطريقة خطية ، حيث يستطيع المتعلم تنمية معارفة وقدراته على استخدام اللغة ، وليس تنمية اللغة كقوالب جامدة . بمعنى آخر عرض المادة بحيث تعمل على تعزيز قدرات المتعلم التواصلية .

٣- تقسيم وحدات التعلم إلى نشاطات لا إلى وحدات لغوية .

استمرارية التعلم عن طريق النشاطات المتعددة داخل الوحدة التعليمية الواحدة

(*) تشير ساندراهاربر إلى عقم طريقة القواعد والترجمة ' التى سادت حقل تعلم اللغة فى بداية هذا القرن ، والتى انبعثت من الطريقة المباشرة Direct Methode" فقد كان هم الدارسين للغة استظهار التعريفات للأشكال اللغوية ،وكأن تعلم اللغة هو استظهار تلك التعريفات-الأشكال اللغوية-بحيث أصبح ذلك هو الغاية القصوى ، وكأن هذه العملية هى التى تساعد المتعلم على الفهم والتعبير اللغوى الصحيح بالشكل المرجو *"(نايف خرما وعلى حجاج ، ١٩٨٨ : ٢٤)*

إن ساندراهابر ترى أن تعلم اللغة لا يأتى من تعلم النحو والتركيز عليه ، بل ينبغى أن يتعرض المتعلم للقواعد النحوية أثناء تناوله للغة داخل نص أدبى جيد . وهذا ما ذهب إليه **المفكر المسلم العربى ابن خلدون** حين دعا إلى ضرورة أن يتم تعلم اللغة من خلال كلام العرب ، وضرورة الابتعاد عن قوانين النحاة التى لاتفيد يقول ابن خلدون " الملكة اللسانية تحصل بممارسة كلام العرب وتكراره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه ، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية فى ذلك التى استنبطها أهل صناعة اللسان "*(ابن خلدون ، ١٩٨٦ : جـ٤ /١٣٩٩)* . ويقول فى موضع آخر :قاصداً فن الشعر ."

" تنتظم التراكيب فيه (يقصد ابن خلدون الشعر العربى) بالجمل وغير الجمل إنشائية وخبرية ، اسمية وفعلية .. على ما هو شأن التراكيب فى الكلام العربى فى مكان كلمة من الأخرى يعرفك به ما تستفيده بالارتياض فى أشعار العرب من القالب الكلى المجرد فى الذهن من التراكيب المعينة الذى ينطبق ذلك القالب على جميعها .... ولا تقولن إن معرفة القوانين الإعرابية والبلاغية كافية فى ذلك ، لأن الملكة (القدرة اللغوية) هيئة ترسخ فى النفس من تتبع التراكيب فى شعر العرب لجريانها على اللسان حتى تستحكم صورتها فيستفيد بها العمل على مثالها والاحتذاء بها ...وإن القوانين العلمية (يقصد بها البلاغية والنحوية العربية لا يفيد تعليمها بوجه ... إنما هو حفظ أشعار العرب وكلامهم .. المنثور والمنظوم ...' *(ابن خلدون ، ١٩٦٨ : جـ٤ / ١٤١٣ - ١٤١٤)*

إذا كان ماوصل إليه ابن خلدون هو المتبع الآن فى حقل تعلم اللغات ، فإن البحث يسجل ريادة ابن خلدون وسبقة لتربوى العالم المعاصرين وبخاصة علماء الغرب الذين نهل ونَعِبَ منهم ، ونَرُدُّ إليهم فضل كل مُحْدَثٍ وجديد وإن لم يكن ابن خلدون متخصصاً فى مجال المناهج وطرق تدريس اللغات فإن ذلك لا يقدح فى ذهنه ، ويكفيه أنه اقترح اتخاذ النص الأدبى وسيلة لاكتساب الملكة اللسانية (اللغة) منذ مئات من السنين الغابرة بحسه الاجتماعى التربوى فى العمران البشرى .

٤- قيام عملية التعلم على أساس تفاوضى بين المتعلم والمتعلم الآخر ، وبين المتعلم والمعلم ، وبين المتعلم والكتاب أو المادة التعليمية .

٥- تهتم الطريقة بتلك المواقف اللغوية والتعليمية والاجتماعية التى تعين المتعملم .

٦- تهتم الطريقة بالنشاطات التى تخلق المواقف الواقعية الحقيقية لاستخدام اللغة مثل توجيه الأسئلة .....

تختلف هذه الطريقة اختلافاً جذرياً عن الطرائق السابقة من حيث كونها لا تفرض طريقة واحدة للتعليم ، كان دور المعلم الفاهم فيها دائماً بأنه هو الذى يوجه الأسئلة ،وهو صاحب زمام المبادرة ، وهو المعلم الفاهم والملقن لكل شىء يقال أو يجرى أثناء السلوك التدريسى . **إن الطريقة التواصلية تجعل الطالب هو المحور الذى تدور حوله سلوكيات التدريس . فهذه الطريقة مرنه تجعل التلميذ يقوم بالعديد من الأدوار لكى يفهم اللغة ...**

يستفاد من استعراض طرائق تدريس اللغة أن كل طريقة اعتمدت على أسس عديدة - فيما عدا الطريقة التقليدية هذه الأسس هى :

١- أسس لغوية انبثقت عن نظرية لغوية .

٢- أسس سيكلوجية انبثقت عن نظرية تعلم .

٣- أسس اجتماعية انبثقت عن فهم البيئة كعنصر مؤثر فى اكتساب اللغة او ما يسمى بملكة - كفاءة - التواصل الاجتماعى Communicative Competence

٤- إن نجاح كل طريقة مما سبق كان مرهون بمدى اكتساب اللغة من خلال فنون اللغة ومهاراتها الأربع واذا عدنا إلى وجهة نظر ابن خلدون فى تربية الملكة اللسانية ، واعتبرنا ما دعى إليه ابن خلدون طريقة تدريس فهل توفرت لدى ابن خلدون الأسس الأربعة السابقة ؟

ان الاجابة على هذا السؤال تدل دلالة قاطعة على أن ابن خلدون قد وعى عند كلامه على اكتساب الملكة عدة أسس سيكلوجية (*) يكاد يكون سابقاً فيها النظريات السيكلولوجية الحديثة كالنظرية السلوكية وكذلك أيضاً نظرية تشومسكى التوليدية التحويلية وهى من أشهر النظريات اللغوية المعتمدة على نظريات علم النفس كذلك أيضاً انطلق ابن خلدون عند حديثه عن اكتساب الملكة من بعض الأسس اللغوية وهى :

١- أن اللغة تكتسب .

٢- أن المحاكاة والفهم والاستماع والتكرار عوامل جيده لاكتساب الملكة اللسانية .

٣- أن اللغة لا تكتسب من خلال الألفاظ ولا المعانى بل من خلال التراكيب اللغوية أما عن الجانب الاجتماعى فى اكتساب اللغة فقد وعاه ابن خلدون بل انه قد سبق الأوروبيين الرمزيين

(*)انظر صص (٨٨ - ٩٣) من هذا البحث

فى ذلك يقول أحد الباحثين :" ابن خلدون كان يدعو إلى التطبيع الاجتماعى فهو يؤمن بالحتمية الاجتماعية التى ترى إن ظواهر التاريخ خاضعة لقوانين ثابته قبل الأوروبيين بمدة طويلة ، فقد آمن أصحاب الاتجاه التفاعلى الرمزى بأهمية اللغة فى التنشئة الاجتماعية فالطفل يصبح إجتماعياً حينما يكتسب القدرة على الاتصال بالأخرين والتأثير فيهم ،والتأثربهم *(عزمى إسلام ، ١٩٨٩ : ٣١٥)*

أما عن طريقة ابن خلدون وفنون اللغة ، فإن البحث قد دل فى موضع سابق على أن طريقة الملكة اللسانية تأخذها فى اعتبارها اعتماد على مصطلحى الاستيعاب والتمثل اللذين اثبتهما البحث فالاستيعاب للغة لا يتم إلا من خلال السمع والتفطن لكلام العرب أو قراءته وحفظه فبها يتم اكتساب اللغة وإذا أردنا التأكد من تمام الملكة كانت عملية التمثل بالحديث أو الكتابة .

إذن عمليتى الاستيعاب والتمثل تعنى بالترتيب – كما عبر عنها البحث – فنون اللغة بلغة تربويى العصر الحديث . وهذه الفنون هى : الاستماع – الحديث – القراءة – الكتابة ويتضح ذلك من الشكل التالى :

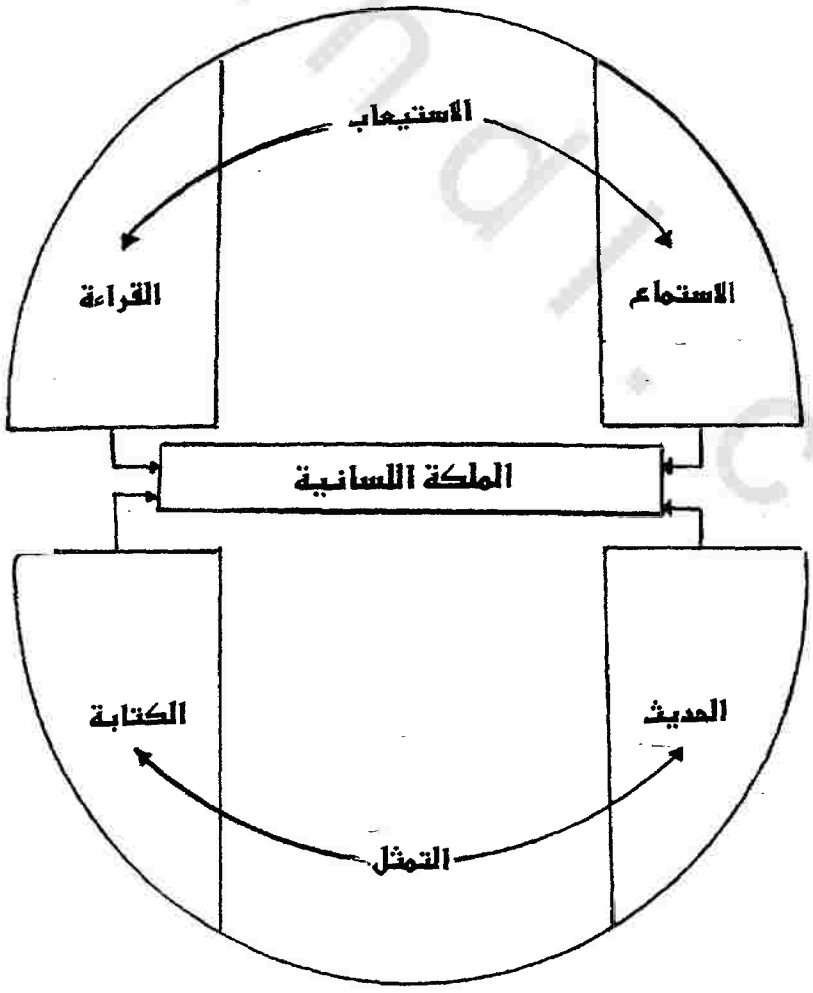

شكل (٦) يوضح عمليتي الاستيعاب والتمثل وما يتضمناه من فنون اللغة

وإذكان ابن خلدون لم يذكر فنون اللغة صراحة ، مع إيراد دلالاتها في ثنايا كلامه (*) ، فإن هذا لا يقلل على الإطلاق من قيمة آرائه في اكتساب الملكة اللسانية ، فما اصطلاحات فنون اللغة إلا نتاج العصر الحديث ويكفى ابن خلدون فخراً أنه وعى بحسه الاجتماعى اللغوى بعض المضامين التى تجود اكتساب اللغة .إذن طريقة ابن خلدون تبعاً للأسس السابقة – التى تثبت دلالاتها تعتبر طريقة جيدة . ولكن البحث يطمح في التعرف على مواطن الالتقاء بين طرق التدريس السابقة وطريقة ابن خلدون .

نجد أن طريقة" *Content Based Iiterture* تؤكد على ضرورة اتخاذ الأدب محوراً للدراسة اللغوية .أليس هذا التأكيد هو الذى ذكره ابن خلدون من القرن الثامن الهجرى ؟ ألم يدعو إلى ضرورة فهم كلام العرب شعراً ونثراً ؟ ألا يعتبر ابن خلدون بهذا سباقاً فى أفكاره ؟ أليست طريقةهربات طريقة أوربية؟! أوجدنا أحداًيذكرها الآن من الأوربيين ؟ لماذا نُصِرُّ علىطريقة *هِرْبَارت* التى نبذها الأوربيون واجتثوها من تربة التربية عندهم ؟ **لقد اجتثت من تربة التربية لأنها لم تثمر ثمرة تغنى عن كثرة اللحن ؟**

<u>ألا ينبغى أن نتبع الطرق الجيدة ؟</u>

إذا كانت الإجابة على هذا السؤال الأخير بالإيجاب .فالأحرى أن نتبع طريقة *Content Based Literture* ؛ أحدث ما يوجد فى طرق التدريس ، ولكن ينبغى علينا ونحن نعود إليها أن نغير اسمها إلى الذى اقترح مدلولها– منذ سنين طوال– ابن خلدون " ، لأنه مفكر عربى مسلم دارت فكرته حول تربية الملكة اللسانية وهو ما زال مسلماً عربياً أى أن تربية الملكة اللسانية تدور فى فلك الثقافة الإسلامية ولهذا كان ابن خلدون يصر على أن تكون النصوص من القرآن والحديث والشعر الإسلامى المتشبع بالقيم الإسلامية ، ويوم نعود إلى ثقافتنا لا شك أن كثيراً من القيم والسلوكيات ستتغير وصدق رب العزة حيث يقول :(**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ") صدق الله العظيم.**

(*)انظر صص (١٠٨-١٠٩) من هذا البحث